مجلة شهرية

نـــــور يسوع المسيح
ΦΩΣ ΧΡΙΣΤΟΥ

Issue No: 75 :عدد
November 2013 تشرين الثاني

جمعية نور المسيح ، رقم: ٥٨٠٣٢٧٩١٤ ، ص.ب. ٦١٩ قانا الجليل ١٦٩٣٠
Nour Almasih / Light of Christ, Registered Society No. 580327914 - P.O.Box 619 , Cana of Galilee 16930, website:www.lightchrist.org

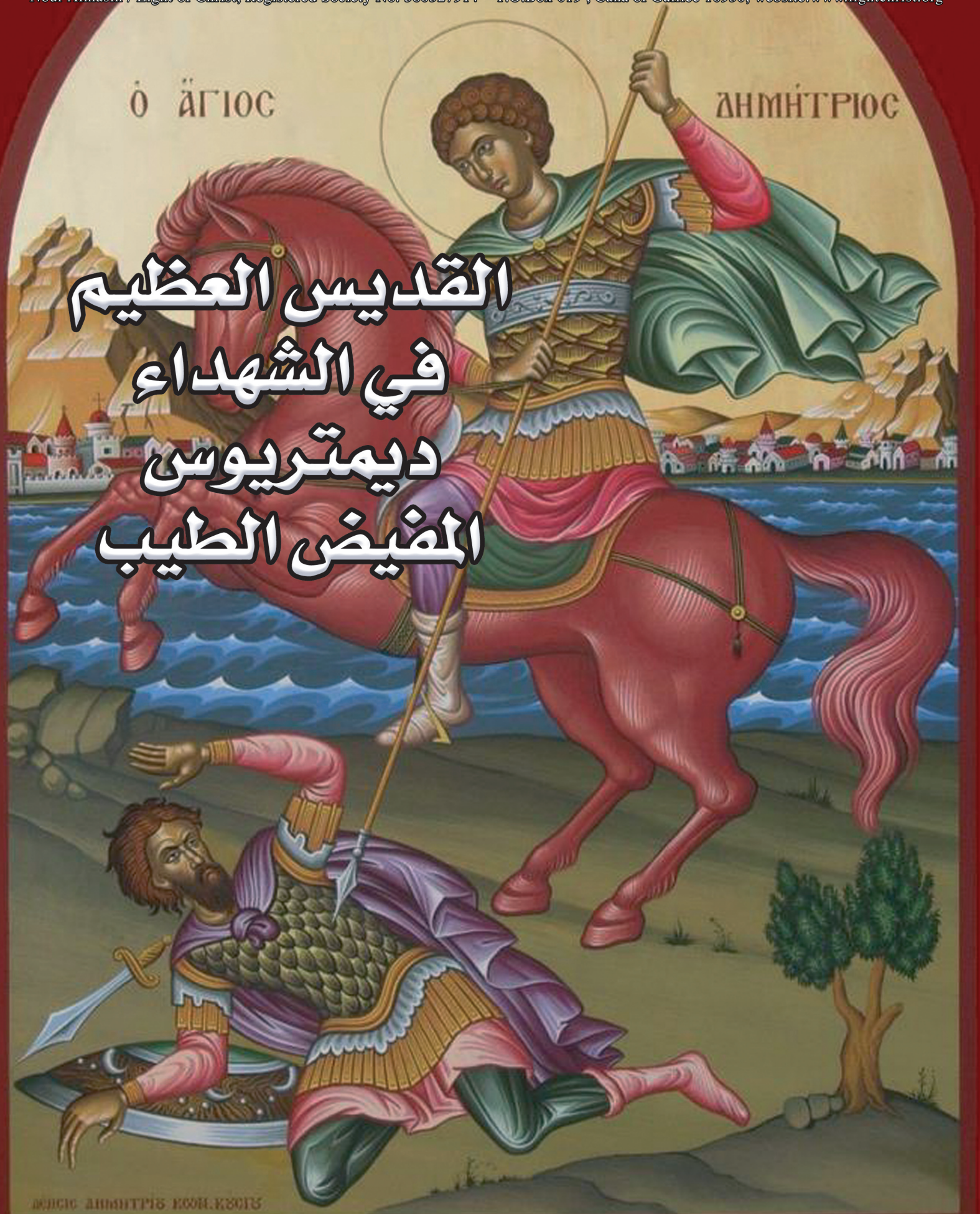

القديس العظيم في الشهداء ديمتريوس المفيض الطيب

المسيح يملأ احتياجك

« السارق لا يأتي إلا ليسرق ويذبح ويُهلك. وأما أنا فقد أتيتُ لتكون لهم حياة ويكون لهم أفضل» (يو ١٠:١٠)

اضطر احد الأشخاص للسفر إلى أوروبا بسبب تعرّضه لضيقة ماديّة شديدة.

وعند مغادرته البلاد جاء إليه احد أقاربه ليودّعه وأعطاه في يده **شيك مفتوح بدون مبلغ** أي **شيك على بياض**. لكي يملأه بحسب احتياجه .. ويضع الرقم من المال الذي يحتاجه حسب ظروفه التي يمرّ بها في غربته.

سافر الرجل الى بلاد الغرب، وعاد من سَفَره ومعه الشيك، لم يكتب عليه أي شيء لكنه كان يملأ قلبه بالسلام والإطمئنان طول مدّة غربته ، لأن معه شيك يستطيع به سحب الملايين إن احتاج إلى ذلك.

هكذا قَدَّمَ لنا الربّ يسوع المسيح في **رحلة غربتنا على هذه الأرض شيكاً على بياض**. فقد قيل: «يملأ إلهي كل **احتياجاتكم** بحسب **غناه** في **المجد** في المسيح يسوع» (في ٤:١٩).

عزيزي

إننا ونحن هنا في أرض الغربة يجب أن نكون في سلام واطمئنان لأن معنا شيك على بياض من اللّه أن يسدّد كل احتياجاتنا بحسب غناه في المجد.

نعلم ونؤمن أنه سيغدق علينا بغنى ومجد السماء.

تأكّد أيها الحبيب أن كل ما تتركه هنا من أجل اللّه سيعوّضك عنه في المجد الأبدي.

فالكتب التي نتمتّع عند قرائتها الآن، سوفَ نستبدلها في الأبديّة بكنوز الحكمة والمعرفة.

والصُوَر التي نتمتّع عند رؤيتها الآن ، سوفَ نستبدلها بالرؤيا السماويّة.

والبشر الذين نتمتّع بمصاحبتهم الآن ، سوفَ نستبدلهم بمصاحبة الملائكة والقديسين.

وأغاني العالم التي نمتنع عن ترديدها هنا على الأرض ، سوفَ نستبدلها بترنيمة جديدة في السماء.

وما نرفضه من ملاهي ومسرّات العالم سوفَ نجد أسمى منه من أفراح اليوبيل الأبدي في السماء.

يقول الشيخ الروحاني:

﴿ الشَبع لفيضِ رحمتك غير المنطوق بها يا إلهنا.

بابك هو مفتوح وليسَ مَن يدخُل.

مجدك هو ظاهر وليسَ مَن يشخَص.

نورك يشرق بعيوننا ولا نهوى.

يمينك مبسوطة لتُعطي وليسَ مَن يأخذ ..

يا أبانا المملوء رحمة .. بقوّتك إجذبنا إليكَ وقَرِّبنا نحوكَ﴾.

ماذا تعطيكَ الأرضُ
والسماءُ كلها بالقرب منكَ ؟

يا ربّ توّبني فأتوب

يا رَبُّ هيّء لنا من أمرنا رَشَدَا ... واجعَل مَعونَتَك في عُمرنا مَدَدَا
ولا تَكِلْنا إلى تدبرِ أنفُسِنا ... فالنَّفسُ تَعجزُ عن إصلاحِ ما فَسَدَا

محتويات العدد

2	المسيح يملأ احتياجك
3	كلمة غبطة البطريرك كيريوس كيريوس ثيوفيلس الثالث
4	لماذا نضيء الشموع
5	العناية الإلهيّة - الذهبي الفم
7	عالم الفلك جوهانس كبلر
8	الأرثوذكسيّة قانون إيمان لكل العصور
9	الإنتفاع من الضيقات
10	نبوّة وعظة للأنبا صموئيل
12	بين الأجير والراعي
14	مقابلة مع الجمل المدهش
15	عندما يتزعزع الإيمان ..
15	العهد القديم (٥٩)
16	القديس جوارجيوس كارسليذس
18	العظات الثمانية عشرة للقديس كيرللس الأورشليمي
19	الإنتباه واليقظة
21	الحياة صلاة القديس باسليوس
22	القديس ديمتريوس

توزع هذه المجلة مجاناً

جمعية نور المسيح : كفركنا - الشارع الرئيسي (الهي الجنوبي) ص. ب. ٦١٩ تلفاكس ٠٤/٦٥١٧٥٩١

تقبل التبرعات مشكورة في بنك العمال - الناصرة
حساب رقم : 12-726-111122

e-mail: light_christ@yahoo.com

ترتيب وتحضير : هشام ميخائيل خشيبون - سكرتير جمعية نور المسيح

كلمة صاحب الغبطة بطريرك المدينة المقدسة أورشليم

كيريوس كيريوس ثيوفيلوس الثالث

بمناسبة رفع الصليب الكريم المحيي في دير قصر المطران في الناصرة

«اليوم يرفَع الصليب فيتقدّس العالم. لأنّك ببسط يَدَيْكَ عليه أيها المسيح المُجالس الآب والروح القدس اجتذبتَ العالم كلّه الى معرفتك، فأهِّل المتوكلين عليك للمجد الإلهي».

أيها الأخوة الأحباء. أيها المؤمنون ، والزوّار الحسنيّ العبادة .

«كلمة الصليب» (١كور ١:١١) تعني القوّة الإلهيّة الخلاصيّة، التي أتمّها ربنا والهنا ومخلصنا يسوع المسيح طوعاً عندما قدّم نفسه ذبيحة كفّاريّة من أجل خلاصنا، هذه القوّة الإلهيّة ضمّتنا كلنا وجمعتنا في هذا الدير الشامخ الحامل لإسم الصليب الكريم المحيي ، والمعروف بقصر المطران، لنؤدّي شهادة روحيّة من خلال إقامة شعائر العبادة الإفخارستيّة ـ الشكريّة ـ شهادة عمق وأصالة إيماننا بـ «الصليب»، هذا الصليب الذي نقيم ونكرز ونعترف برفعه الكريم في العالم كلّه .

هذا التعبير لشهادة الإيمان منوطٌ بأمرين:

الأول هو صليب المسيح الكريم المحيي، والذي عليه كما يقول المرنم : بسطَ عليه المسيح يديه الطاهرتين ، مجتذباً العالم كلّه إلى معرفته، وبشكل أكثر دقة ، جُذِبَ الرسول بولس ، في هذه المعرفة، معرفة كلمة اللّه المسيح ، كما يذكر ذلك في رسالته الى أهل غلاطية: «وأما من جهتي، فحاشا لي أن أفتخر إلاّ بصليب ربّنا يسوع المسيح ، الذي به قد صُلِبَ العالم لي وأنا للعالم» (غلاطية ٦:١٤)، وبشكل أكثر وضوحاً يقول الرسول بولس: ليس لي في هذا العالم أيُّ شيء يمكن له أن يشدّني للإفتخار والتباهي.فعندما تيقنتُ ، أنّ المسيح أخذ صورة عبد صائراً في شبه الناس، وصُلِبَ لعظيم محبّته من أجل خلاصي أنا بولس، عندها إستقرّ افتخاري بموت المسيح على عود الصليب، فمن خلال الإيمان بفاعليّة ونتائج هذا التدبير الإلهي ، الذي إنتزَعَ مني وللأبد الشغف بهذا العالم والإرتباط به، بالنسبة لي أصبح العالم ميّتاً وفاقداً لقدرته وقوّته ، وهكذا أنا أيضاً قد متُّ للعالم .

الأمر الثاني، يتعلّق بموت المسيح على الصليب، الذي حقّق المصالحة لكل العالم المنظور وغير المنظور. كما يكرز الحكيم بولس: «وأن يُصالح به الكل لنفسه ، عاملاً الصلح بدم صليبه، بواسطته سواء كان ، على الأرض، أم ما في السموات» (كول ١ :٢٠).

لقد سُرّ اللّه الآب بهذه المصالحة ، التي أتمها ابنه الوحيد يسوع المسيح ، عندما سَفَكَ دمه الطاهر على عود الصليب ، صانعاً السلام من خلال ذبيحته الكفّاريّة ، فقد صالح اللّه الآب البشريّة الساقطة على الأرض، وتصالحت الملائكة في السموات معنا نحن ابناء البشر ، كلّ هذا تمّ بسرّ الفداء على عود الصليب.

أصبح واضحاً أنه من خلال الدم المسفوك على عود الصليب أي موت المسيح الخلاصي، تحقّق السلام والمصالحة بين اللّه والبشريّة، لكن هذا الحدث أيها الأخوة الأحباء ، يعجز عقل الإنسان لأن يُدْرِكَ كُنْهَهُ وَيَسْبُرَ غَوْرَهُ ، لأنّ الحقيقة الدامغة والأكيدة هو أن الإنسان مخلوق سقطت طبيعته من جرّاء الخطيئة التي اقترفها، فأصبح خاضعاً لسلطان الموت والفساد.

إنّ ظاهرة الموت هي ظاهرةٌ غيرُ أصيلة في حياة الجنس البشري، لأنّ الموت هو دَخيلٌ كما يذكر ذلك سفر الحكمة: «اللّه لم يصنع الموت، ولا يُسَرُّ بهلاك الأحياء» (حكمة١:١٣). الموت (دَخَلَ الى العالم) كما يقول الكتاب المقدس: «لكن بحسد إبليس دخل الموت الى العالم» (حكمة٢:٢٤). وكما يقول المرنّم: «إنّ الموت الذي أصابَ جنس البشر بواسطة الأكل من العود ، قد اضمحلّ اليوم بالصليب . . .» (كاطافسيات الصليب)، من هنا يظهر أنّ سبب وأصل الموت هو الخطيئة وذلك من جرّاء عصيان آدم وحواء، هذا ما يكرز به القديس يوحنا الدمشقي: «فإنّ الجميع كيانهم من اللّه. وقد دخل الفساد بسبب شرّنا، ذلك لمجازاتنا ومنفعتنا ، "إذ ليس الموت من صنع اللّه ولا هلاك الأحياء يُسرّه" (حكمة١:١٣)، إنما كان الموت بالإنسان ـ أي بزلّة آدم ـ وكذلك سائر العقوبات».

إنّ الموت قد دخل حياة الإنسان نتيجة عصيانه لوصايا اللّه (تك٢:١٧)، وهذا ما يؤكّده القديس يوحنا الدمشقي: «..لولا الصليب لما بَطُلَ الموت ابداً ولا انحلّت خطيئة أبينا الأول ولا سُلِبَت الجحيم ولا مُنِحَت القيامة، لولا كان بصليب ربّنا يسوع المسيح».

لهذا السبب يقول الرسول بولس : «ولكنّنا نحن نكرز بالمسيح مصلوباً: لليهود عثرة ولليونانيين جهالة» (١كو ١: ٢٣).

صليب المسيح الكريم المحيي أيها الأخوة الأحباء: يحوي سرّ التدبير الإلهي، هذا السرّ المكتوم وغير المدرك منذ الأزل، المحفوظ فقط لدى اللّه المثلث الأقانيم. هذا السرّ أُعلنَ لنا من خلال **ربنا يسوع المسيح الإله الكامل ـ والإنسان الكامل** . فكونه إله كامل، فإنه زرع شجرة الحياة في وسط الجنة. (تك٢:٩) ، وكإنسان كامل بعد تأنّسه من العذراء والدة الإله مريم: زرع «في وسط الأرض» خشبة الصليب لخلاصنا، كما يذكر سفر المزامير: «أما اللّه فهو ملكنا قبل الدهور، عَمَلَ الخلاص في وسط الأرض» (مز ٧٣:١٢).

إن خشبة الصليب التي سقاها **المسيح الإله ـ الإنسان** بالدم والماء المقدسَيْن من جنبه الطاهر، بعد أن طُعن جنبه بالحربة ، «ولكن واحد من العسكر طعن جنبه بحربة، وللوقت خرج دمٌ وماء» (يو١٩:٣٤)، إن الدم والماء هما سرّ الكنيسة أي المعموديّة والمناولة الإلهيّة ، هكذا تحول الصليب إلى الشجرة المعطية الحياة ، هذه الشجرة بعد ارتوائها بالماء والدم ، أصبحت ثمرتها ـ شهيةُ الأكل ـ ينبوع الحياة الأبديّة.

أيها الأخوة الأحباء

إنه من خلال الصليب الكريم المحيي الذي نرفعه اليوم بشكل إحتفاليّ وطبيعيْ وروحيّ مع القديسة هيلانة المعادلة للرسل ، والقديس مكاريوس أسقف أورشليم اللذان عاينا وكانا شاهدين عند العثور على الصليب الكريم المحيي في أورشليم، لهذا الحدث الإلهي الفريد نسجد بالحقيقة للمسيح الإله: «الذي بذَلَ نفسه لأجلنا، لكي يفدينا من كلِّ إثم ، ويطهّر لنفسه شعباً خاصاً غيوراً في أعمالٍ حسنة» (تيطس٢:١٤).

نحن نكرّم الصليب المقدّس لخلصنا يسوع المسيح الإله الإنسان، الذي هو ينبوع تقديس ، وسبب تألّه البشريّة ، ومع المرنم نقول: «إنّك بارتفاعك أيها السيّد على خشبة الصليب رفَعتَ معك كلَّ طبيعة آدم الساقطة. فلذلك نرفع نحن صليبك الطاهر يا محبّ البشر. مستمدّين منك القوّة التي من العلَى. وصارخين خلّص أيها العليّ المكرّمين رفع صليبك الالهي البهي الموقرّ. بما أنّك الاله الرحيم»، واعطِ للعالم ولمنطقتنا السلام العلوي. آمين

وكل عام وانتم بخير

الداعي بالرب
البطريرك ثيوفيلوس الثالث
بطريرك المدينة المقدسة أورشليم

لماذا نضيء الشموع امام الأيقونات المقدسة

يقول القديس نقولا فاليميروفيتش بهذا الصدد:

أولاً: لأن المسيح قال: «أنا هو نور العالم» (يو ٨:١٢). الشمعة تذكرنا بإيماننا بأن المسيح ينير نفوسنا.

ثانياً: لتذكيرنا بإشعاع القديس صاحب الأيقونة التي نضيء الشمعة أمامها، لأن القديسين هم أبناء النور (يو١٢:٣٦) و (لو ١٦:٨).

ثالثاً: كتأنيب على أعمالنا المُظلمة وأفكارنا الشريرة وشهواتنا. ولكي نُدعى إلى طريق النّور الإنجيلي حتى نتمّ بحرارة أكبر ، وصية المخلّص: «فليضيء نوركم أمام الناس، حتى يروا أعمالكم الحسنة» (متى٥:١٦).

رابعاً: كتضحية صغيرة للرب الذي أسلم نفسه كلياً كضحية من أجلنا، وكإشارة صغيرة إلى امتناننا الكبير ومحبتنا المشعّة للذي منه نسأل الحياة والصحة والخلاص وكل ما يمكن أن تمنحه المحبة الإلهية غير المتناهية.

خامساً: لضرب قوى الشر التي تحاربنا حتى خلال الصلاة، مُبعدةً فكرنا عن الخالق، كونها تحب الظلمة وترتجف من النور، خاصّةً نور الرب ونور الذين يرضونه.

سادساً: لحثنا على إنكار الذات، إذ كما يخضع الزيت والشمع لإرادتنا، هكذا ينبغي بنفوسنا أن تحترق بشعلة المحبة في كل آلامنا خاضعين لمشيئة الرب.

سابعاً: لتعليمنا أنه كما أن الشمعة لا تشتعل بدون يدنا، كذلك قلبنا، أي نورنا الداخلي، لا يضيء بدون نور النعمة الإلهية المقدس، حتى ولو كان مليئاً بالفضائل التي هي في مُطلق الأحوال مادة قابلة للاشتعال لكن النار التي توقدها لا تأتي إلاّ من اللّه.

ثامناً: لتذكيرنا بأن خالق العالم، خلق النور أولاً ومن ثم كل الأشياء الأخرى بالترتيب: «وقال اللّه ليكن نور وكان نور» (تك ١:٣). وهكذا ينبغي أن تكون الأمور في بداية حياتنا الروحية، حتى، قبل كل شيء، يلمع في داخلنا **نور المسيح**. ومن ثم من هذا النور يتولّد كل عمل صالح، ويرتفع وينمو فينا. عسى أن **ينيركم نور المسيح**. آمين

العناية الإلهية

للقديس يوحنا الذهبي الفم

راعي الخراف العظيم ربنا يسوع المسيح

الفصل الأول : العثرة في إدراك عناية الله.

الفصل الثاني : الاجتهاد في فحص حكمة الله

مقدمة الكتاب للقديس يوحنا الذهبي الفم ،
على العناية الإلهيّة الفائقة الإدراك.

إنّ يوحنا أبينا رئيس أساقفة القسطنطينيّة الذي يعتبر من بين طغمة القديسين ، ومن الذين كابدوا من المظالم المقترفة والمطاردات وسوء المعاملة من الناس ومن كهنة كثيرين، له خبرة واسعة وشاملة بموضوع العناية الإلهيّة .

١ ـ إن الأطباء عندما يريدون معالجة مَن هُم مصابين بالحُمّى أو مَن يُعانون أي مرض آخر. فإنّهم يَسعون أولاً إلى رؤية المرضى أنفسهم ، لأنّهم لو ظلّوا بعيدين عنهم فلن يكون بمقدورهم أن يقدّموا ما في وسعهم أن يقدّموه، إذ أن فنّ الطب يستلزم معاينة الأمراض على الطبيعة.

٢ ـ وعلى العكس فنحن ، الذين نجتهد بالعناية ليسَ بمرض أو مرضين ، بل بكل مَن هم يعانون من العثرة على مدى العالم كله ، لا نحتاج لشيء من هذا ، إذ أنه غير مطلوب منّا الذهاب لأحد ممن هم مصابون بهذا المرض أو التعرّف على مدى انتشار المرض ولا حتى مطلوب أن نسعى لرؤية مَن هُم في صحة سيّئة. نحن لن نستعمل أدوات (جراحيّة) ولَن نُكَلِّف مَن هم مرضىً أن يشتروا ما يستلزم العناية بهم (ومعالجتهم). (يقصد بمرض العثرة ، التعثّر في إدراك عناية اللّه ومحبّته لنا عندما تحيط بنا نار التجارب ونكتوي بلهيبها فنظنّ خطأً أنّ اللّه قد نسانا أو تخلّى عنّا).

٣ ـ حتى لو كان هؤلاء المرضَى غير معروفين لنا، ولو كانوا يُقيمون في أقصَى الأرض وفي وسط البرابرة وقابعين في قاع البؤس، وفقراء بالدرجة التي ينقصهم القوت الضروري، فلا شيء من هذا يمنعنا من العناية بهم ، نحن الذين في موضع منفرد (أي معزول وبعيد)، بدون أدوات (جراحيّة)، بدون أدوية أو أكل أو شُرب أو مال أو بدون (الحاجة إلى) سفرٍ طويل ... سنطرد هذا المرض.

٤ ـ كيفَ وبأيّ وسيلة ؟ بوسيلة إعداد ترياق الكلمة الذي هو ناجع لكل المرضَى، ومن باب أولى لكل مَن ذكرناهم (حرفيّاً أسميناهم) لأن الكلمة (الإلهيّة) ستغذّي أفضل من الخبز، وتُقيم أفضل من أي علاج، وتكوي بقوّة أكثر من النار، دون أن تثير أي ألم ، وتكبح الأمواج المسمومة للأفكار المنحرفة ، (إن الهرطقة ليست هي ثمرة للعقل ، بل هي ثمرة لسوء استخدام الإنسان للنُطق (والتفكير السليم)، و(الكلمة) أكثر حدّة من السّيف، فهي تبتر دون ألم الأجزاء المصابة، وبعملها هذا لا تُكَلِّف أية نفقة ولا تزيد من فَقر مَن هو فقير. إذ قد أعددنا هذا الترياق، فنحن نرسله للجميع. وأنا أعلم أن الكل سيستفيد من هذا العلاج، بشرط أنهم يتمسكون بكلماتنا بانتباهٍ وإرادةٍ حَسَنة.

الفصل الأوّل : ينبغي ذكر سبب من أين تتولّد العثرة

١ ـ لأنه فيما يختص بالجسد، فإن معرفة سبب مرضه هو من المعتاد عونٌ ليسَ بقليل للمريض، بل هو أمرٌ فعّالٌ جداً ويُساهم في شفائه، لأنّه ليس فقط سيفلَت من قبضة المرض الذي أصابه بعد معرفته للسبب، بل أيضاً لن يتعرّض للمرض مرّة أخرى، لأنه عَلِمَ السَّبَب الذي لأجله وقَع فريسة للمرض في المرة السابقَة، وسيتحفّظ منه فيما بعد. فلنشرح نحن أيضاً أولاً لَمَن عانوا مثل هذه الآلام، من أينَ أتاهم مرض العثرة.

٢ ـ في الواقع إنّهم لو تعرّفوا على علّته واهتمّوا بالوقاية منه سيفلتون من هذا المرض، ليس فقط الآن بل دائماً، ومن أمراض أخرى كثيرة. هكذا طبيعة هذا العلاج أنه يُشفي في الحاضر ويحصّن ضدّ كل الأمواض في المستقبل.

٣ ـ لأن العثرة لا يسقط تحتها الضعفاء لعلة أو علّتين أو ثلاث، بل توجَد علل كثيرة تجعل الضعفاء يسقطون في العثرة. وكلمتنا تعمد إلى تحرير مَن كانوا ضحايا لهذه البلايا بشرط أنهم على الأقل ـ كما سَبَقَ أن ذكرتُ منذ قليل ـ يريدون السّماع ، ويَضعوا في اعتبارهم النصائح المعطاة لهم.

٤ ـ إن هذا الدواء قد أعددته، ليس فقط بالرجوع إلى الكتاب المقدّس، بل أيضاً من الأحداث التي تتم أثناء الحياة الحاضرة ولا تتوقّف عن الحدوث، بحيث أن مَنْ هم غير مرتبطين بالكتاب تكون هذه الأحداث وسيلة متاحة لهم ليُقَوِّموا خطأهم بشرط أن يُريدون ذلك.

٥ ـ لأنني لن أكفّ عن تكرار القول: من المستحيل فرض هذا العلاج بالإجبار وبالقوّة عندما يرفضه المريض، ولا يقبل التعاليم الإلهيّة، إذ أن الشفاء الآتي من هذه التعاليم لهو أعظمُ جداً من الدرس الذي نستوعبه من الأحداث التي تتم في حياتنا.

٦ ـ لأنه ينبغي التيقّن أن الاستعلان الآتي من اللّه هو جديرٌ بالتصديق أكثر من الأحداث المرئيّة. أما لماذا تنتظر ـ مَن لا يُريدون

أن يقوّموا أنفسهم ـ عقوبة صارمة جداً، فهذا لأنه مع كونهم أخذوا الكُتب المقدسة، لم يجنوا منها أية منفعة، بينما منفعتهم كامنة فيها. فلكي لا يكونوا ضحايا لهذه العقوبة فلبدأ الآن في تقويمهم أن نشرح لهم أولاً سبب هذا المرض.

القديس يوحنا الذهبي الفم يستلهم التفسيرات الإلهيّة من الرسول بولس، فيركع بعدها ساجداً وشاكراً لواهب العطايا المسيح الإله.

الرسول بولس يلهم القديس يوحنا الذهبي الفم ويرشده في تفسير رسائله، هذه الرؤى الألهيّة شاهدها القديس بروكلس تلميذ الذهبيّ الفم عند دخوله الى غرفة معلمه يوحنا، فكان يعاين القديس بولس متجلياً يهمس بأذن الذهبي الفم اليمنى، ما يختص بتفسير الرسائل، وكان الذهبي الفم يمضي ساعات الليل الصغرى في كتابة عظاته الإلهيّة، وتحتفل كنيستنا بتذكار القديس بركلس في ٢٠ من شهر تشرين الثاني، واصبح بعد الذهبي الفم ، رئيس أساقفة القسطنينية أيضاً .

الفصل الثاني: محاولة الاستفسار والأجتهاد في فحص حكمة اللّه التي لا تُسبر، هو أمرٌ خطير وممتلئ طيباشة.

١ ـ فما هو سبب هذا الخطب (الشرّ) العظيم ؟ إنه الفكر المتطفّل والفضولي، إنها الرغبة في معرفة سبب كل الأحداث (التي تحلّ بنا)، ومحاولة الدخول في نزاع مع عناية اللّه غير المدركة ولا موصوفة ؛ تلك العناية الفائقة لكل فحص واستقصاء. ومع هذا لا يخجل الإنسان من هذا الموقف الفضولي المملوء تهوراً.

٢ ـ تُرى مَن فاقَ بولس في حكمته ؟ أخبرني ألم يكُن إناءً مختاراً ؟ ألم يأخذ نعمة الروح الفائقة غير المنطوق بها؟ ألم يتكلم المسيح فيه؟ ألم يكشف اللّه له عن أمور لا يُنطَق بها؟ ألم يسمع ما لا يحقّ لإنسان أن ينطق به؟ ألم يُختَطَف إلى الفردوس وارتفع إلى السماء الثالثة ؟

٣ ـ ألم يجوب البحر والبرّ يجذب البرابرة (أي الوثنيين) ليصيروا مسيحيين؟ ألم يمتلك قدرات كثيرة ومتنوّعة للروح؟ ألم يُقم النظام (والترتيب الحَسن) لدى شعوب بأكملها وفي المدن؟ ألم يضع اللّه بين يديه المسكونة كلها وسلّمها له؟.

ومع هذا كله فإن هذا الرجل بعظمته وحكمته وقوّته وامتلائه بالروح ـ إذ خصّه اللّه بهذه الإمتيازات ـ عندما يتأمّل في عناية اللّه، لا في كل جوانبها بل في جانبٍ واحد منها ، اسمع كيفَ يُصاب بالدهشة، كيف يأخذه الدوار، كيف يتراجع سريعاً خاضعاً أمام (سموّ اللّه وتدبيره) الفائق الإدراك.

٤ ـ فإنه لم يبحث عن عناية اللّه بالملائكة أو برؤساء الملائكة أو الشاروبيم والسيرافيم وكل الطغمات غير المنظورة، ولا عنايته بالشمس والقمر والسماء والأرض والبحر، ولا في سهَره على الجنس البشري بأكمله، واهتمامه بالحيوانات غير العاقلة، والزروع والعشب والأهوية والينابيع والأنهار، لا عن ولادتها ونموّها وقوّتها بموجب الطبيعة ولا عن أي شيءٍ آخَرَ شبيه.

٥ ـ لكنه تناول عناية اللّه الخاصة باليهود واليونانيين وأفاض في بحث هذه النقطة، وشرَحَ كيف دعا اللّه الأمم ورفض اليهود، ثم تكلّم عن الشفقة التي أتمّ بها الخلاص لهؤلاء وأولئك.

٦ ـ وحينما أدركَ هذا، اكتشف الرسول أنه أمام محيطٌ واسع، وإذ حاوَل فحص أعماق هذه العناية أُصيب بالدوار أمام استحالة تفسير عملها، وأخذته الدهشة والذهول أمام عناية اللّه غير المحدودة ولا موصوفة ولا مفحوصة ولا مدركة، فتراجع في مهابة متعجباً وهو يقول: «يا لعمق غنى اللّه وحكمته وعلمه» (رو١١: ٣٣).

٧ ـ لقد أوضح بعد ذلك كيف تلامَسَ مع أعماقها دون أن يُفلح في استقصائها، فقال: «ما أبعد أحكامه عن الفحص وطرقه عن الاستقصاء ؟!» (تابع رو١١: ٣٣). إنه لم يَقُل أن أحكامه بعيدة عن الفحص فحسب، بل وبعيدة أيضاً عن الاستقصاء. ليس فقط لا يقدر الإنسان على فهمها، بل ولا حتى أن يبدأ في استقصائها. يستحيل عليه أن يُدرك غايتها أو حتى يكتشف كيف بدأ تخطيطها !

٨ ـ وإذ قال:«ما أبعد أحكامه عن الفحص وطرقه عن الاستقصاء» أنهى حديثه ـ وقد امتلأ تعجباً وانذهالاً ـ بأنشودة شُكر قال فيها: «لأن مَن عَرَفَ فكر الرب أو مَن صارَ له مشيراً. مَن سَبَقَ فأعطاه فيُكافأ. لأن منْهُ وبه ولَهُ كل الأشياء. له المجد إلى الأبد آمين» (رو ١١: ٣٤-٣٦).

٩ ـ هذا هو ما يُريد أن يقوله بولس الرسول: إنه اللّه ينبوع كل الخيرات ومصدرها، ليس في حاجة إلى شريك أو مُشير، لا يستعير من أحد قدرة المعرفة أو الذكاءَ المتوقّد، فهو يعمل ويُتم كل العجائب، وهو نفسه بدء كل الخيرات وأساسها وموجدها. هو نفسه الخالق،وهو نفسه الذي دَعى غير الموجود إلى الوجود، يدبّر ويحفظ كل شيءٍ حسب إرادته !

١٠ ـ «منه وبه وله كل الأشياء» (رو١١: ٣٦).

إنّ هذه كلمات مَن يُريد أن يُظهر أنّ اللّه نفسه خالق الكائنات ومبدعها، مدبّر حياتها وحافظها. وفي موضع آخر يتحدّث بولس الرسول عن النعمة الموهوبة لنا فيقول: «شكراً للّه على عطيته التي لا يُعبّر عنها» (٢كو٩: ١٥). وهو يُظهر أن سلام اللّه المعطَى لنا ، ليس فقط فائق على كل نُطق وكُل وَصف ، بل ويتخطّى كُل عَقل. لهذا السبب قال: «سلام اللّه الذي يفوق كل عقل يحفظ قلوبكم» (في٤: ٧).

١١ ـ فإن كان عمق غنى اللّه وحكمته وعلمه بلا حدود، وإن كانت أحكامه بعيدة عن الفحص وطُرقه عن الاستقصاء، وإن كانت مواهبه لا يُنطَق بها، وسلامه يفوق عقلي وعقلك وعقل كلّ أحد، بل وعَقلَيّ بطرس وبولس، وفَهم رؤساء الكهنة وكل الطغمات السماوية، أخبرني أي عُذر لكَ في محاولتك الغبيّة المملوءة جنوناً، لكي تتفهّم ما لا يمكن إدراكه، محاسباً أعمال عناية اللّه ؟!.

١٢ ـ إن كان بولس الذي أدرك الإلهيّات بعمق وامتلأ رجاءً صادقاً غير منطوق به ، وَغَمَرَتْهُ كل هذه المواهب، نجده يتراجع. وإن كان قد ارتفع فوق حدود طاقته لعلّه يفهم ، فلم يَقدر حتى أن يُدرك مبادىء تدابير اللّه ـ فإنّ هذا مُحال ـ أفلا يُحسَب ذاك الذي يُريد السير في طريق مناقض لترتيب العناية الإلهيّة أشقَى الجميع وأكثرهم جنوناً ؟!

١٣ ـ في الواقع إنّ بولس لم يَكتَف بهذا، بل عندما تعرَّضَ لمعرفة الأمور الإلهيّة في رسالته إلى أهلَ كورنثوس أظهَرَ كيف ـ ولو أننا عرفنا الكثير ـ لكن مع ذلك فإن معرفتنا محدودة وفي غاية الضآلة. وعبَّرَ عن هذا على وجه التقريب بهذه الكلمات: «وإن كان أحد يظن أنه يعرف شيئاً، فإنه لم يعرف شيئاً بعد كما يجب أن يعرف» (١كو٨:٢). لقد أكّدَ لنا أنّنا الآن نعرف بعض المعرفة، أما الجانب الأعظم منها فسنعرفه في الدهر الآتي «لأنّنا نعلم بعض العلم ونتنبّأ بعض التنبؤ، ولكن متى جاء الكامل فحينئذ يبطل ما هو بعض» (١كو١٣:٩-١٠).

١٤ ـ ولم يكتَف بولس بهذا ، بل عندما أراد أن يوضح الفارق بين معرفتنا هنا ومعرفَتنا في الحياة الأخرى لجأ إلى هذا التصوير:«لما كنتُ طفلاً، كطفل كنتُ أتكلم، وكطفل كنت أفطن، وكطفل كنت أفتكر. ولكن لما صرتُ رجلاً أبطلتُ ما للطفل. فإنّنا ننظر الآن في مرآة، في لغز، ولكن حينئذ وجهاً لوجه» (١كو١٣: ١١-١٢).

١٥ ـ هل لمستَ مدى الفارق بينهما؟ إنه كاختلاف معرفة الطفل الصغير عن معرفة الرجل الناضج، وكاختلاف الرؤية في مرآة عن التطلّع وجهاً لوجه، إذ تُشير المرآة إلى التعبير الغامض، أو بطريقة أخرى أقل وضوحاً من رؤية الأشياء على حقيقتها. فلماذا هذه الحماقة وهذا الجنون في أن نجابه عبثاً وباطلاً الأشياء الممنوعة؟ لماذا اذن لا نصدّق قول بولس: «مَن أنتَ أيها الإنسان الذي تُجاوب اللّه ؟ ألَعَلَّ الجبلة تقول لجابلها لماذا صنعتني هكذا ؟!» (رو٩:٢٠).

١٦ ـ تأمّل كيف يليق بنا الخضوع لإرادة اللّه في صمت !.

إنه بلا شكّ لا يقصد بقوله هذا أنه يودّ أن يفقدنا إرادتنا الحرّة، حاشا، لكنه يؤكّد أنه ينبغي على الباحث الالتزام بالصمت كالطين في يد الخزّاف، لا يُقاوم ولا يُجادل. وقد ذكر الخزّاف والطين ليذكّرنا بطبيعتنا، فإنّهما في درجة واحدة من حيث وجودهما (لأنّ الخزّاف هو أيضاً مخلوقٌ من الطين).

١٧ ـ ومع هذا يخضع الطين للخزّاف (رغم أنهما من نفس المادّة)، فأيّة مغفرة يترجّاها الإنسان وهو يتجاسر مجادلاً إرادة اللّه جابله، مع أن الفارق بينه وبين اللّه الذي خلقه لا نهائي؟ أُذكر أيها الإنسان مَنْ أنت ـ ألستَ طيناً وتراباً ورماداً؟ ألستَ بخاراً (حرفيّاً دخان)؟ ألست عشباً؟ ألست زهرة عشب؟

١٨ ـ إن الأنبياء يذكرون دائماً كل هذه التشبيهات ويتسابقون في أن يصوّروا قدّام عيونّنا وضاعة طبيعتنا. أما اللّه الذي تودّ أن تُخضعه لفضولكَ الطائش فهو لا يخضع للموت أو التغيير. إنه سرمدي، لا بدايَة له ولا نهاية، غير مُدرَك، فائق لكل فهمٍ وكل نُطق، غير موصوف ولا منظور !

هذه الصفات لا نستطيع إدراكها أنا وأنت، أو حتى الرسل والأنبياء، بل ولا القوّات السماوية ـ رغم طهارتها ـ وهي قوّات غير منظورة وغير جسديّة وتحيا على الدوام في السماء (في حضرته).

عالم الفلك جوهانس كبلر Johannes Kepler : وإيمانه بالربّ يسوع المسيح

استحقّ (جوهانس كبلر ـ ١٥٧١ـ١٦٣٠) بفضل إنجازاته العظيمة واكتشافاته في مجال علم الفلك، أن يوصف (بالرجل الذي باشر العمليّة التي اعتمدت المنطق بدل الخرافات). فقوانينه الثلاثة حول مسار الكواكب، هي التي أرسلَت أسس علم الفلك الحديث:

* يتحرّك كل كوكب حول الشمس في مدار بيضوي الشكل.
* تزداد سرعة الكواكب كلّما اقتربت من الشمس.
* ان نسبة مربّع الفترتين التي تستغرقهما الدورة الكاملة لأي كوكبين حول الشمس، توازي نسبة مكعّب معدّل مسافة كل كوكب من الشمس.

لخّص جوهانس كبلر إيمانه بقوله: «أنا مسيحي مؤمن»، معترفاً بأن اللّه هو «الخالق اللطيف الذي كوّن الطبيعة من لا شيء)، كما ان قوانينه حول مسار الكواكب، جاءت وليدة إيمانه بأنّ اللّه هو إله ترتيب وليس إله تشويش. وهكذا فإنّ كتابه تحت العنوان: "انسجام العالمين" ، والذي أصدره في العام ١٦١٩ لتدوين مبدأه الثالث المتعلّق بمسار الكواكب، وردت فيه هذه الكلمات:

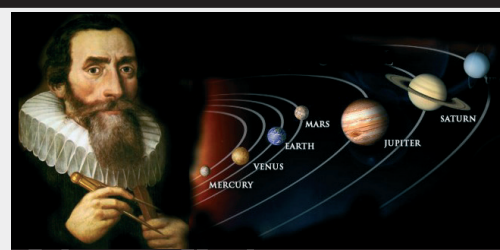

جوهانس كبلر Johannes Kepler

«عظيمٌ هو اللّه ربّنا، وعظيمةٌ قدرته، ولا نهاية لحكمته».

وما صرَّح به كبلر في المرحلة المتقدّمة: (أنا أومن... وأكرّس نفسي لخدمة يسوع المسيح وحده ... ففيه حصني وملجأي، وكل عزائي). وقال كبلر أيضاً: (كنتُ أنوي أن أصبح لاهوتيّاً ... لكني أرى الآن أنّ اللّه تمجّد أيضاً من خلال نشاطي في مجال علم الفلك، ذلك لأنّ السماوات تحدّث بمجد اللّه).

الأرثوذكسيّة
قانون إيمان لكل العصور
(١٧)

الأب: أنتوني م. كونياريس

الرسل الأطهار

قاعدة الأيمان

من الصورة إلى المثل (الشَّبه):

يُميِّز الآباء **الذين كتبوا باليونانيَّة** بين التعبيرين: صورة IMAGE و مثل (شَبَه) LIKENESS ويقولون إن الإنسان مخلوق على صورة اللّه ولكن ليسَ على شَبَهه، ومهما كان الإنسان خاطئاً فإنه لا يفقد أبداً صورة اللّه. أمَّا شَبَهُنا باللّه، فهذا يتوقّف على اختيارنا الأخلاقي، وهذا الشبه يُمكن أن ينهدم بواسطة الخطيَّة. إن صورة اللّه في الإنسان تدلّ على الإمكانيات التي تُمنَح لكل إنسان من اللّه في لحظة وجوده، أمَّا الشبه باللّه، فعلى العكس، ليس هو هبة يمتلكها الإنسان من البداية، ولكن هدفاً لابدّ أن يَصبو إليه. يقول يسوع: «كونوا كاملين كما أنّي أنا كامل». ولأننا على صورة اللّه، فإنه يمكننا أن نعرف اللّه وأن يكون لنا شركة معه. إن استخدم الإنسان هذه الإمكانيات صحيحاً للشركة مع اللّه، فإنه سوف يصير مثل اللّه، سوف يحوز الشبه الإلهي. قال الوجودي سارتر Sarter :«توجَد في الإنسان أصلاً رغبة ليصير إلهاً». إنَّ هذا يُشكِّل جزءاً من سرّ الإنسان، فهو وقد خُلِقَ على صورة اللّه، فهو مدعو أن يحقّق في نفسه كمال الحُب، الذي هو الاتحاد باللّه.

لم تقبل الكنيسة الأرثوذكسيّة أبداً نظرية المغبوط أُغسطينوس **(والتي قُبِلَت عموماً في الغرب)**، وهي أن الإنسان قد مُنِحَ منذ البداءة **كل حكمة ومعرفة ممكنة، أي كمالاً مُحقّقاً وليس كامناً.** إن نظرة الكنيسة الأرثوذكسيّة هي النظرة الفعَّالة الديناميكيّة التي تبنّاها القدّيس إيرينيئوس، وهي أن الإنسان إذ قد جُبل على صورة اللّه، له المقدرة أن يتقدَّم من الصورة إلى الشبه. إن هدفنا هو أن ننمو إلى شبه اللّه بتتميمنا إرادته. هذا يُفَسِّر التأكيد في اللاهوت الأرثوذكسي على **تأليه الإنسان**، الذي يعني أن الإنسان يقدر من خلال يسوع المسيح والروح القدس أن يرتفع من حياة البشريَّة الساقطة ، إلى حياة اللّه ذاتها.

يفسِّر أبراهام هزكل Abraham Heschel فكرة أن الإنسان قد خُلِقَ على صورة اللّه كَالتشابه بين الوجود being والفعل doing ، فحيث إن الإنسان مخلوقٌ على صورة (وجود ـ كينونة)، فهو مدعو أيضاً ليعمل، أن يعمل مثل اللّه: «كونوا رحماء كما أن اللّه رحيم».

صورة منعكسة:

يقول برونَر Brunner إن أهم ما في المرآة هو ما تعكسه، فحتى يكون الإنسان صورة حقيقيَّة للّه، يجب عليه أن يشخص في المسيح ويعكسه في حياته. ولكي يفعل هذا يجب أن يقف في وضع علاقة إيمانيّة صحيحة مع المسيح. المرآة لا تعكس صورتنا إلاّ إن وقفنا أمامها. إن كان الإنسان لا يعمل كما لو كان قد خُلِق على صورة اللّه، فهذا بسبب أنه ليس على علاقة حقيقيَّة صحيحَة مع المسيح. إنه يعكس العالَم، يعكس الذات الخاطئة، ولكنه لا يعكس الإنسان المثالي. كل إنسان يعكس صورة الإله الذي يعبده: «ونحن جميعاً ننظر ونعكس كما في مرآة مجد الرب، لذلك نحن نتغيَّر إلى صورته الشخصيَّة من مجد إلى مجد» (٢كو٣: ١٨ ترجمة حسب النص).

قد نكون مرآة باهتة فاقدة بريقها، ولكن إذ ننظر مجد اللّه، فإننا نعكسه أيضاً، وبعكسنا إيّاه، نتحوّل يوماً فيوماً من مجدٍ إلى مجد.

من آدم إلى المسيح:

خُلِقَ آدم الأوّل على صورة اللّه، أما المسيح ـ آدم الثاني ـ فلم يُصنَع على صورة اللّه لأنه هو الصورة عينها. إنّ صورة اللّه في آدم تشوَّهت بسبب الخطيَّة، أمَّا صورة اللّه في المسيح فهي أصليَّة أزليَّة. إذاً أصبح لدينا صورتان للّه ؛ الصورة الآدميّة وصورة اللّه في المسيح. الإنسان آدم كان يُعَبِّر عن الإنسان المتمركز حول نفسه والمهتم بمقامه وقوَّته ونجاحه وتقدّمه، أمَّا يسوع فهو الإنسان الذي يعيش للآخرين، الذي هدفه ليس أن يسود أو يُخدَم ولكن أن يَخدم. إن آدم الأول نشيط في كُلٍّ منّا، وهدف الحياة المسيحيَّة هو الإنتقال من الإنسان آدم إلى الصورة المشابهة للمسيح. هذا هو عمل الروح القدس، العمل الذي ـ بحسب القديس بولس ـ يبدأ في المعموديّة ونتيجته: «الخليقة الجديدة» التي تنمو أكثر وأكثر إلى شبه المسيح (رو٦: ٤، ٢كو٥: ١٤–١٥ ، ١٧: ٢١ ، أف ٤). المسيح إذ هو ابن اللّه الوحيد؛ فهو الوحيد الذي أعاد تجديد صورة اللّه في الإنسان بموته وقيامته وصعوده وإرساله للروح القدس. خارجاً عن المسيح ننتهي إذ نصير حاملين لصورة مُشوَّهة.

كان النحَّات العظيم بورچليم Borglum يقوم بنحت تمثال للرئيس أبراهام لنكولن لوضعه في مبنى البرلمان الأمريكي، وعندما لاحظت المرأة المسؤولة عن نظافة الأستوديو ذات صباح أن قطعة الرخام القديمة التي كانت موجودة فيه لسنوات طويلة أصبحت فجأة رأس لنكولن تنهَّدت وقالت: «كيف عَلِمَ السيّد بورچلم وهو في العالَم أن أبراهيم لنكولن موجود في هذه الكتلة الرخاميّة القديمة»

ونحن نسأل حسناً: كيف عَلِمَ الربّ أن بطرس الصخرة كان

موجوداً في بطرس المتزعزع؟ كيف عَلِمَ الربّ أن القديس بولس كان في شاول المُضطهد ؟ هو يعرف لأنه صورة اللّه في كل واحدٍ منّا، وهو يعرف القوَّة الكامنة في هذه الصورة.

قُوَّة كامنَة:

أن يُخلَقَ الإنسان على صورة اللّه، فهذا يعني أنه يُمكنه أن يصير مثل اللّه. إن له صفات مُشابهة للّه، له وزنات عظيمة وقدرات فائقة وضعها اللّه فيه، لم يُقصَد للإنسان أن يزحف عبر الحياة ليذبل ويجبن في وجه الصعوبات، إنه خُلِقَ ليكون مَلِكاً. اللّه يقول: «ويتسلّطون».

الإنسان كنائب عن اللّه:

أن يكون الإنسان صورة اللّه، فهذا يعني أيضاً أن ينوب عن اللّه في الأرض، وُظِّفَ الإنسان ليعمل عمل اللّه في العالَم. قال جنديان بريطانيان أثناء الحرب العالمية الأولى وهما ينظران إلى الخنادق الموحلة وإلى الأجساد المكسورة الملقاة فيها: «أين اللّه الآن» وإذ بشخصين حامِلَيْن نَقَّالة جرحى وهما صاعدَيْن من داخل الخندق وهما يحملان جندياً مجروحاً وهو يَئِن مِن الألم يقولان لهما: «انظرا اللّه الآن موجود هنا». اللّه يعملَ من خلال صورته، وهو يحمل نقَّالة الجرحى ليأتي بالإسعاف والنجاة والشفاء. قد يسأل الأطفال الجائعون نفس السؤال: «أين اللّه الآن؟»، ولكن عندما تحمل لهم الكنائس والهيئات المساعدَة الطعام، سوف يقول الأطفال بالتأكيد: «اللّه هنا الآن». اللّه يَعمل في العالَم من خلال صورته الحيَّة: الإنسان.

يلزم أن أصير مثله:

عادَ جندي إلى منْزله بعد الحرب وهو مُشَوَّه الوجه، وكان مغموماً ومُرّ النفس حتّى تمنّى لنفسه الموت، وافَقَ طبيب تجميل ذات يوم على أن يُحاول ليستعيد لهذا الشّاب وجهه إنْ أمَدَّ الشّابُ الطبيبَ بصورة فوتوجرافيّة تُبيّن الشكل الذي يريد أن يعود إليه. أمَّا الشّاب ففي قُنوطه قال: «أما تستطيع أن تعمل أفضل من هذا، إنني لم أنظر شكلي من قبل وليست لي صورة، لماذا لا تستخدم الصورة التي على الحائط؟ وكانت هذه الصورة للسيّد المسيح». استخدم الطبيب فعلاً الصورة كنموذج، وعندما رُفِعَت الأربطة عن وجه المريض، رأى الشاب وجهاً آخَرَ مختلفاً تماماً عَن وجهه القديم قبل التشوُّه، وجهاً يشبه بشدّة الصورة التي على الحائط، وفي تلك الليلة فإنّه قرَّر : «ما دمتُ أُشبهه فهناك شيء واحد عَلَيَّ أن أعمله، أن أصير مثله».

أليسَ هذا هو هدفنا في الحياة كمسيحيين أن نتقدَّم من صورة اللّه إلى الشبه بالمسيح عن طريق نعمة الروح القدس ؟

الإنتفاع من التجارب والضيقات

يجب النظر الى مصائبنا أو مصائب غيرنا، كنعمة من اللّه لا كنقمة منه تعالى، لأنّها وإن تَكُنَّ اجرة الخطيّة معينة برحمة منه لعلاج شاف يجعلنا بها آنية طاهرة لحلوله. فلنحسبَ ضيقاتنا وآلامنا وإن تَكُن محزنة وثقيلة مُرسَلَةٌ من قبَله تعالى لتستأصل ما في قلوبنا مِنَ الفساد بأنواعه، وتربطنا بالسماء بعد أن تحلّنا من قيود هذه الدنيا؛ فإنّ يَدَ الخالق في كل واحدة من تلك الشدائد.

فعلينا أن نعتبرها كل الإعتبار، وأن نُقَبِّل اليَد التي أصابتنا بها لأنها لم تأت ذلك إلاّ لنفعنا وتكميلنا، وتُنَبّهنا الى مقاصَد اللّه منها، فنرجع إليه تعالى بالتوبة الصادقة، ونحصل على الإنتفاع المقصود.

وكان مسكين اسمه لعازَر، الذي طُرِحَ عند بابه مضروباً بالقروح، ويَشتهي أن يشبَع من الفُتات الساقط من مائدة الغنيّ، بل كانت الكلاب تأتي وتلحس قروحه. (لو١٦: ٢٠-٢١)

واعلم أنّ كل حزن نلاقيه إنما هو مَوْجَةٌ في بحر هذا العالم المضطرب تُقرّبنا الى الوطن الأخير، فلا يجوز أن نبقى حيثُ كُنّا، أو كما كُنّا أولاً، لأنّ ذلك مما يُحزن طبيبنا الروحاني إذ يرى عدم مبالاتنا بدوائه، فيشدّد يده علينا بالتأديب، ويكون ذلك داعياً لزيادة آلامنا فضلاً عن أنّ قوانا تضعف وتطول مدّة المرض، وربما لم نتمكّن من الحصول على فرصة أخرى للتقويم. نعم إنّ النظر الى آلامِ البشر وضيقاتهم محزنٌ للغاية، لكن النظر الى الناس بعد عبورهم تلك الآلام، ولم يبالوا بأمر انفسهم ولم ينتفعوا من تلك الأرزاء، هذا يعتبر أشَدّ احزاناً لأنّهم بذلك يستخفّون بتأديب القدير ويقاومونه.

فليضىء نُوركم هكذا قدّام الناس، لكي يَروا أعمالكم الحسنة، ويمجّدوا أباكم الذي في السموات. (متى٥: ١٦)

كم تَغُصُّ الأيّامُ مِنّي وتَأبَى ... همّتي أَنْ تَنَالَ مِنّي مُناها

أَنا في كَفِّها كَجَذْوَةِ نارٍ ... كُلَّمَا نُكِّسَت تَعَالى سَنَاها

نبوة وعظة للأنبا صموئيل

وهو أحد نسّاك النطرون في بريّة شيهيت في مصر ، هذه البريّة التي استوطن فيها كبّار نُساك الكنيسة مثل: القديس أنطونيوس الكبير، ومكاريوس الكبير وآخرون ..

إن آبا هور تلميذ أنبا صموئيل سَطَّرَ هذه الموعظة، لمنفعة من يقرأها ويحفظها، وفيها نبوة عما سيكون.

قال: .. إن المسيحيين يميلون كثيرًا في ذلك الزمان ويكونون في كسل عن عبادة اللّه.. ويكونون في ذلك الوقت محبين للأكل والشرب والشَّهوات أكثر من ملازمة بيعة اللّه، ويلازمون مواضع الموالد حيث الأكل والشرب أكثر من ملازمة حب اللّه. تراهم جلوسًا في شوارع الأسواق في اهتمام بأمور العالم، ولا يهتمون البتّة بأمور الكنيسة، فلا ترسخ بقلوبهم الفصول التي تُقرأ مع ما فيها من تقويم ومنفعة لنفوسهم، وحتى الإنجيل لا يسمعونه كما ينبغي وإنما يحضرون إلى الكنيسة عند فراغ القداس، والبعض يعملون أعمالا لا ينبغي عملها. يحضرون إلى الكنيسة ويأخذون الإنجيل ويسألون عن الفصل الذي قرئ، فيقفون في زوايا الكنيسة وحدهم ويقرأون ويصنعون لهم ناموسًا وحدهم.

الويل يا أولادي الأحباء للكسالى. ماذا أقول عن تلك الأزمنة وعظَم الكسل الذي يلحق بالنصارى، في ذلك الزمان يميلون كثيرًا عن الاستقامة ويتركون تسمية أولادهم بأسماء الملائكة والأنبياء والرسل وأسماء الشهداء والقديسين..

وماذا أقول بشأن الانحلال الذي يصير في النصارى.. ينسون خوف الهيكل ويكون الهيكل عندهم كلا شيء وتبقى أبواب الهيكل مفتوحة ليس عليها حارس ولا شماس، وتجد الناس في ذلك الزمان يطلبون رُتَب الكهنوت وهم لا يستحقون أن يقرأوا على الشعب، وتبطل كتب كثيرة من الكنيسة لأنه لن يكون فيهم من يهتم بها.. وكذلك القراء لا يفهمون ما يقولون.. وفي ذلك الزمان يعمل الناس خطايا كثيرة وليس لهم من يؤدّبهم أو يعلّمهم، لأنهم كلّهم يخطئون كبيرهم ومعلمهم ـ يَعْلَم الأب بإثم ابنه ولا يؤدبه، وكذلك الأم لا تؤدب ابنتها.. ولا يكون لهم من يبكّتهم.

كلٌ يعمل حسب هواه..

القسّ لا يُبَكِّت

الكبير لا يُعلّم

الصغير لا يطيع الكبير

دير البرموس (دير السيّدة العذراء في وادي النطرون) يرجع تسميته إلى مكسيموس ودوماديوس الروميَّين من القسطنطينية ، وهم من آباء القرن الرابع الميلادي، ومعنى كلمة براموس : (الذي للروم) وهي كلمة يونانيّة نسبة الى الأميرين: مكسيموس ودومادمس أبناء ملك الروم الذين تَرَهبَنا في هذا الدير، وكان ذلك في فترة القديس مكاريوس الكبير، وبعد رقادهما بالربّ ، بنيت هذه الكنيسة، وهي تحمل منارتين إحداهما كبرى وهي للأخ الأكبر مكسيموس والثانية صغرى وهي للأخ الأصغر دوماديوس.

إنهم يتركون قوانين آبائنا القديسين، حتى أنهم يحلّون الأصوام المعروفة المفروضة، والذين يصومون لا يكملون أصوامهم كما يجب لأجل شهوة البطن.. لأن كل واحد يقيم لنفسه ناموسًا كما يشتهي.

ومنهم من يقوم في الكنيسة بانحلال وكسل يتحدثون بعضهم مع الآخر في الأعمال الرديئة الباطلة التي للعالم.

ولا يقفون البتة ولا يلتفتون إلى جسد المسيح في الصينية ودمه في الكأس على المذبح.

وإذا تكلم أحد بغيرة مقدسة على القوانين الكنسيّة، كان كأنه عدوّ يفتحون أفواههم عليه مثل الأُسُد.

والنسَاء في البيعة أيضًا يكثرن الكلام في انحلال وليس من يؤدبهن...

حتى الكهنة أيضًا يتصرفون بانحلال ولا يخضعون للتعليم الصحيح، وإن طلب إليهم أحد الكلام والتعليم فإنهم يتحدثون إلى الشعب بملل وبغير معرفة، ولهذا يَغضب الرب عليهم لأنهم خرجوا عن قوانين البيعة والتعليم الذي لآبائنا القديسين.

وتشتدّ الكبرياء في تلك الأيام فيتكبّرون بعضهم على بعض ويتذمّرون بعضهم على بعض ويهزأون بكلام الكتب المقدسة، حتى الكهنة والرهبان والقسوس خدام المذبح المقدس يتورطون أيضًا في هذه الأعمال، وينسون إن الكبرياء مرذولة أمام اللّه.

لكن نسألك يا اللّه ألاّ تتخلى عن شعبك إلى المنتهى بل تردّ غضبك إلى رضى وتحنن، ورجزك إلى سلامة، وتنظر إلى شعبك في ذلك الزمان وتذكر عروسك الكنيسة وترسل إليها معونتك السمائية...

والآن أوصيكم يا أولادي الأحباء وأطلب إليكم طلبًا بتضرع أن توصّوا من يأتي بعدكم، فيوصّوا من يأتي بعدهم إلى كمال الأجيال أن يتحفّظوا غاية التحفّظ ويسيروا باستقامة أمام اللّه..

وبعد أن شرح الأنبا صموئيل هذه الأقوال التفت إلى أنبا أبللو وجميع الأخوة وقال لهم: لقد سمعتم بآذانكم اليسير من التعب الذي سيحل بالأجيال الآتية، الذين يتجرأون أن يغيّروا القوانين

المقدسة والتعاليم الطاهرة التي لآبائنا، واعرفوا عظم الشِّدة التي ينالونها، فأنتم أيضًا يا أولادي الأحباء تحفّظوا وتيقّظوا فإن الطوبى والبركات للذي يتحفّظ ويستيقظ.

الآن يا أولادي الأحباء ينبغي لنا أن نبتعد عن كل أفعال الشياطين ولا تجعل أغراضه في قلوبنا، فالشيطان يُضِلّ القلوب ويطرح فيها أفكاره.

لنهرب من فخاخ إبليس، والمسيح ينعم علينا بخيرات ملكوته الدائمة إلى الأبد.

يا أولادي الأحباء احترسوا من الغفلة فإن الغفلة أم كل الأوجاع وهي تربي الزوان.

تحفظوا يا أولادي الأحباء من الشهوة فإنها تجعل العقل مظلمًا ولا تدع الإنسان يفهم وصايا اللّه، إنها تجعله غريبًا من الروح القدس إذ لا تدع الإنسان يستيقظ لمعرفة اللّه تعالى.

تحفظوا يا أولادي من النظر الشرير فإنها تجعل الإنسان غريبًا من خيرات نعيم الفردوس. إن النجاسة تُغضب اللّه وملائكته.

تحفظوا من الكبرياء فإنها رأس كل الشرور وهي تبعد الإنسان عن اللّه.

تحفظوا من المجد الباطل وحب الرئاسة فإنّ هذه تُفسد كل تعب الإنسان.

تحفظوا من الحقد ولا تكونوا خبثاء، فإن الخبيث ضعيف القلب.ولا تتكاسلوا عند الصلاة فإن الشيطان يكثر الخطية في القلب ويملأه من كل حيلة ومن كل عجلة باطلة، فإذا تكاسلتم وصنعتم كل الإثم واتبعتم ضيق القلب الذي يولد الكسل، وأهملتم قوانينكم فإنكم تصيرون غرباء عن ناموس اللّه.

اطرحوا كل فكر شرّيرٍ واهربوا من كل راحة جسدية فإن راحة الجسد تربي الزوانَ.

احترسوا من الزنى فإنه يُنْزِل إلى الجحيم..

اهربوا من كل فعل رديء واعملوا الأعمال الصالحة المؤدية إلى ملكوت اللّه وهي **الطهارة والصوم والصلاة والتواضع والنسك والصبر على الأتعاب وطول الروح والمحبة والصلح والسلام ومحبة الغرباء**..

كونوا جِياعًا عطاشًا للبر.. مبتعدين عن الخمر وعن الشهوة..

سيأتي زمانٌ يكون فيه **رهبان كثيرون يمزحون ويلعبون** فيُجَدَّف على الرهبنة بسببهم إذ يطرحون عنهم القوانين والتعاليم التي وضعها **الآباء العظام، المصابيح المضيئة: انطونيوس، ومكاريوس، وباخوميوس، وأرسانيوس**، هؤلاء الذين وضعوا لنا القوانين وأوجبوها على الرهبنة..

فأنتم يا أولادي الأحباء احفظوا كل ما قلته لكم اليوم وكل ما هو لبنيان الرهبنة مما وضعه آباؤنا القديسون وأوصوا من يأتي بعدكم من الأجيال أن يحفظوا كل ما قلته لكم اليوم.

احفظوا ما أوصيتكم به فإن والدة الإله تسأل ابنها الحبيب فيكم لأنكم مقيمون في ديارها (دير السيّدة العذراء ـ البرموس) كما عاينت أنا مرارًا كثيرة وأبصرتها بعيني في هذه البيعة المقدسة وسمعتها تقول هذا هو مسكني أنا أحل فيه لأني أحببته..

فالواجب عليكم يا أولادي الأحباء أن تكملوا كل الوصايا وتتمسكوا بقوانين الرهبنة..

طوباكم يا أولادي الأحباء لأنكم استحقيتم أن تسكنوا في ديار السيّدة الطاهرة..

رتلوا وسبحوا اللّه في هذه الكنيسة التي اختارتها والدة الإله مسكنًا..

احترسوا من أن تتحدثوا وقت القداس لأن هذا إثم عظيم في البيعة، أيضًا حيث يكون الترتيل أو القراءة والوعظ لربح النفوس، وليعلم كل من يتحدث في الكنيسة انه يكون مرذولاً وغريبًا عن اللّه.

فلما قال أنبا صموئيل هذه الأقوال للحاضرين بكى الأنبا اغريغوريوس (أحد الأساقفة) بكاءً مُـرّاً حتى بَلَّ ثيابه بدموعه من أجل ما سيكون، فقال له الأنبا صموئيل يا أبي إن هذا تأديب يسير يؤدب به اللّه هذا الجيل عندما يخالف. فإن أتتهم النقمة من أجل خطاياهم التي يعملونها فمن يستطيع الوقوف كما هو مكتوب: «إن كنت للآثام راصدًا يا رب يا رب من يثبت».أما من يقبل بأديب اللّه بشكر، ومن يقر بخطاياه ولا يعود إليها دفعة أخرى فإنه يخلص، كما قال الإنجيل المقدس الذي يصبر إلى المنتهى فهذا يخلص، وأما الذي يضجر ويشكّ فالويل له إلى الأبد.

أن مسيحيين كثيرين في ذلك الزمان **سيمجدون المسيح** من أجل الأتعاب التي تلحق بهم..

ثم أن أنبا اغريغوريوس قال له يا أبي أترى الأمر يبطئ؟ وحتى متى تدوم هذه الصعوبة : قال له الأنبا صموئيل ليس أحد يعرف تدبير الأزمنة وتقلبها سوى اللّه الخالق وحده، لكن إذا تاب النصارى ورجعوا عن أعمالهم الرديئة وأقاموا الصلاة وسلكوا فيها بحرص وحفظوا الاستقامة نقية أمام اللّه فهو يرفع عنهم هذه الأتعاب..

هذه سمعتها أنا أبللوا من فم الأب صموئيل معلّمي وقد أخبرتكم يا إخوتي الأحباء بما قد سمعته منه، وأما الذي تحدث به سرًا وكان بيني وبينه وبين الأسقف أنبا أغريغوريوس فلم أكتبه لأن أبانا أنبا صموئيل أوصاني ألاّ أكتبه في هذه العظة.. وما كُتِبَ فقد كتبته للأجيال الآتية كما أوصاني الأنبا صموئيل.

فمن يسمع ويعمل يَخْلُص والذي يخالف ينال ما يستحقه. والآن يا إخوتي الأحباء فلنصنع أثمارًا تليق بالتوبة لكي نجد رحمة أمام اللّه تعالى له المجد إلى الأبد آمين (نقلت مختصرة عن نسخة بدير البرموس تاريخها ١٢٩٩ش).

بين الأجير والراعي

للقديس أفراهاط الحكيم الفارسي

سيرة القديس أفراهاط الحكيم الفارسي:

عاش القديس أفراهاط Aphraates ناسكًا حقيقيًا، بفكر إنجيلي، في نسكه يتسع قلبه بالحب للكل، ويقابل الآخرين ببشاشة، مجاهدًا أيضًا من أجل حفظ الإيمان.

نشأته: قيل أنه نشأ في القرن الرابع ببلاد فارس، وكان والداه من عبدة الأوثان، أما هو فمنذ صبوته لم يسترح لفكر آبائه وحياتهم المملوءة بالرجاسات. لذا إذ التقى وهو في سن الرشد ببعض المسيحيين وتلامس مع محبتهم ووداعتهم وعفّتهم سألهم عن إيمانهم، فتحدثوا معه عن وحدانية اللّه وتثليث الأقانيم الإلهية وعمل اللّه الخلاصي، فقبل الإيمان بفرح شديد واعتمد.

رأى افراهاط أن يترك بلده كإبراهيم ويذهب إلى أديسا (الرُها) فيما بين النهرين ليتشدد بإيمان المسيحيين هناك، وإذ كان يميل لحياة الوحدة سكن في مكان قريب من المدينة، يمارس حياة العبادة النسكية بروح تقوى حقيقيّ، ففاحت فيه رائحة المسيح الذكية وجاء الكثيرون يسترشدون به ويطلبون صلواته. يبدو أنه ترك موضعه وذهب إلى منطقة أخرى بسوريا حيث ازداد في نسكه، فلم يكن يأكل إلا خبزًا ويشرب ماء مرة في اليوم، مع بعض الخضراوات غير المطبوخة عندما كبر في السن.

افتقده تارة أحد ولاة الشرق، يدعى أنثيموس، وقدم له ثوبًا جديدًا جاء به من بلاد فارس كهدية من بلد هذا المتوحد، وإذ كان بطبعه لطيفًا وبشوشًا تقبل الهدية وشكره عليها. وبعد قليل سأله افراهاط: إني أستشيرك في قضية تحيّرني وتبلبل فكري، وهي إنني منذ حوالي ١٦ عامًا عزمت أن يكون لي صديقًا واحدًا اخترته ليرافقني ويعيش معي، وكان هذا الصديق يعجبني جدًا ويعزيني ولم يحزنني قط لكن جاء آخر من بلد بعيد وأراد أن يحتل مكانه فأي الاثنين أقبل؟! أجاب الوالي: «الأول» أبتسم افراهاط وقال له: «إن الصديق القديم هو ثوبي يلازمني هذه السنوات الطوال فكيف استبدله بآخر؟!»، حينئذ ابتسم الوالي وأدرك أن افراهاط يودّ الاعتذار عن قبول هديته بلطف، فاسترد الثوب وهو متعجب من حكمته ولطفه، إذ لم يُرِد أن يجرح احساساته حتى في رفضه للهدية.

مع الملك فالنس: بقي القديس ملازمًا قلايته لا يخرج منها، وقد تحولت إلى مركز روحي قوي، يتعزى كل القادمين إليه بكلمات النعمة الخارجة من فمه، ويتمتعون ببركات عمل اللّه معه.إذ نفى **الإمبراطور فالنس** ملاتيوس أسقف أنطاكية، وأثار الاضطهاد على الكنيسة بسبب **فكره الأريوسي**، دخل افراهاط مدينة أنطاكية، وكان يشجع المؤمنين، ويشدّدهم على الإيمان المستقيم، مبرهنًا لهم على **لاهوت السيد المسيح**. وكان الأريوسيون يعجزون عن مقاومته أو مجادلته من أجل النعمة التي وُهبت له خلال كلماته وحياته والعجائب التي كان اللّه يجريها على يديه، لذا كان الأريوسيون يهابونه ويريدون التخلص منه.

رآه الإمبراطور مرة يجري مسرعًا في الطريق رغم شيخوخته وإذ سأل عن شخصه قيل له أنه الناسك افراهاط، فاستدعاه، ثم سأله عن سبب مشيه بسرعة. فقال له افراهاط: «لكي أجتمع في الكنيسة وأصلي من أجل العالم، خاصة من أجل الإمبراطورية». عندئذ قال له **فالنس**: «كان الأولى بك أن تلازم قلايتك وتصلي فيها».

أجاب القديس: «لو أن فتاة أبصرت نارًا تلتهب في بيت أبيها وهي متحجبة أتبقى في البيت مستسلمة حتى تحترق؟! لستُ أنا الذي أُلام بل بالأحرى أنتَ الذي أشعلت النيران في بيت أبي وأنا أطفئها. إنني لا أفعل شيئًا يخالف عملنا عندما نجتمع معًا لننعش الموالين للإيمان الحقيقي».

لم يستطع الإمبراطور أن يجيبه بكلمة، إنما شتمه أحد الحاضرين مهددًا إياه بالقتل، فسقط في الحال ميتًا، الأمر الذي أرعب الإمبراطور، فلم يمد يده على القديس افراهاط بالرغم من محاولات الأريوسيين وحثهم له على نفيه.

لم يمض إلا وقت قليل **ومات فالنس** في حريق فاستراحت الكنيسة من مقاومته. عاد القديس إلى توحده واختلى بها مقدمًا صلواته عن العالم حتى تنيح حوالي عام ٣٤٥م.

عظة بين الراعي والأجير للقديس أفراهاط الفارسي

يُقام الرعاة على رأس القطيع ويهبون الخراف طعام الحياة. مَن سَهِرَ وتَعِبَ من أجل القطيع يهتم برعيته، وهو تلميذ راعينا الصالح الذي وهبَ ذاته من أجل الخراف. مَن لا يقود القطيع حسناً، يُشبه الأجير الذي لا يهمّه الخراف (يو ١٠).

فيا أيها الرعاة تشبّهوا بهؤلاء الرعاة الأبرار الأولين.

رعى يعقوب قطيع لابان وحرسه، وتعب وسهر فنال أجره. قال يعقوب للابان:«الآن عشرين سنة أنا معك. نعاجك وعنازك لم تسقط. وكباش غنمك لم آكل. فريسة لم أحضر إليك. أنا كنت أخسرها. من يديّ كنتَ تطلبها. كنتُ في النهار يأكلني الحر، وفي الليل الجليد، وطار نومي من عيني» (تك ٣١).

فيا أيها الرعاة، تأمّلوا هذا الراعي كيف يهتم برعيته. يبقى في الليل يقظاً يحرسه ويسهر، ويتعب في النهار ليرعاه. كان يعقوب راعياً، ويوسف راعياً مع أخوته الرعاة، وموسى راعياً، وداود راعياً، وعاموس راعياً. كلهم كانوا رعاة، رعوا القطيع وقادوه القيادة الحسنة.

ولكن لماذا، يا عزيزي، بدأ هؤلاء الرعاة فرعوا الخراف ثم اختيروا ليرعوا البشر؟ ليتعلموا كيف يهتم الراعي بخرافه ويسهر ويتعب من أجلها. وحين تعلموا أساليب الرعاة اختيروا لتدبير الجماعة. رعى يعقوب غنم لابان وتعب وسهر وقاد الخراف قيادة حسنة. ثم رعى أبناءه ودبرهم حسناً، وعلمهم أصول الرعاية. ورعى يوسف الخراف مع إخوته، وفي مصر كان مدبراً لشعب كثير، فقادهم كما يقود الراعي الصالح قطيعه. ورعى موسى غنم يثرون حميه، وأختير من وراء الغنم ليرعى شعبه، ودبّر أمرهم كالراعي الصالح. أخذ موسى عصاه على كتفه وسار على رأس شعبه يدبره. رعاهم أربعين سنة، وسهر وتعب من أجل غنمه كراع غيور وصالح. وحين أراد ربه أن يمحوهم من أجل خطاياهم، لأنهم عبدوا العجل، صلّى موسى وطلب من ربه، فقال: «أغفر لشعبك خطيئتهم وإلاّ فامحُني من سِفرك الذي كتبت» (خر ٣٢).

هذا هو الراعي المجتهد الذي أسلم نفسه من أجل خرافه.هذا هو المدبر المجيد الذي وهب نفسه من أجل خرافه.هذا هو الأب الرحيم الذي يحتضن بنيه ويُربيهم. وموسى العظيم والراعي الحكيم الذي يعرف أن يقود قطيعه، علّم يشوع بن نون، الرجل الروحاني الذي دبَّر القطيع أي معسكر إسرائيل كله. فدمّر ملوكاً واستولى على أرضهم وأعطى شعبه أرضاً يرعون فيها، وقسّم لخرافه الحظيرة والمربض.

ورعى داود غنم أبيه، ومن الخراف انتقل ليرعى شعبه. رعاهم بقلب كامل وتدبَّرهم بيد فطنة. وحين أحصى داود خراف قطيعه، صعد عليهم غضب الرب وأخذوا يفنون. حينئذ سلّم داود نفسه من أجل خرافه فصلى، وقال: «أيها الرب الإله، أنا أخطأت حين أحصيت إسرائيل. لتكن يدك عليّ وعلى بيت أبي. أما هذه الخراف البسيطة فبماذا أخطأت؟» (٢صم٢٤).

فكل الرعاة المجتهدين يهبون هكذا نفوسهم من أجل خرافهم. والرعاة الذين لم يهتموا بالخراف هم **أُجَراء** لا يرعون إلاّ أنفسهم. لهذا يدعوهم النبي ويقول لهم:«أيها الرعاة، أنتم تبيدون وتبدّدون خراف رعيتي. إسمعوا كلمة الرب. هذا ما قاله الرب: ها أنا أفتقد غنمي كما يفتقد الراعي قطيعه في يوم عاصف، وأطلب خرافي من أيديكم.»(حزقيال٣٤)، «أيها الرعاةُ الجهال، تلبسون صوف الغنم، وتأكلون لحم السمان، ولا ترعون الغنم. لم تداووا النعجة المريضة، ولم تعصبوا المكسورة، ولم تقووا الضعيفة، ولم تجمعوا الضالة والمشتّتة. لم تحرسوا القويّات السمينات بل تسلطتم عليها بالعنف. ترعون أنتم في مرعى صالح، وما فضل تدوسونه بأرجلكم. تشربون المياة العذبة وما فضل تعكرونه بأقدامكم. فرعى غنمي ما داسته أرجلكم وشرب المياة التي عكرّتها أقدامكم» (حزقيال٣٤).

« أنا هو الراعي الصالح، والراعي الصالح يبذل نفسه عن الخراف » (يو١٠:١١)

هؤلاء هم الرعاة الجشعون والسافلون والأجراء الذين لا يرعون القطيع ويدبّرون أموره حسناً ولا ينقذونه من الذئاب. فحين يأتي الراعي العظيم، يدعو رئيس الرعاة، ويزور خرافه ويتفقّد قطيعه، ويأتي بهؤلاء الرعاة ويحاسبهم فيحكم عليهم بسبب أعمالهم. والذين رعوا الغنم الرعاية الحسنة يُفرحهم رئيس الرعاة ويورثهم الحياة والراحة. فيا أيّها الراعي البليد والجاهل. تركت غنمي في يدك اليمنى وبحراسة عينك اليمنى. ولكنك قلت على هذه الخراف: «لتَمُت النعجة التي يجب أن تموت. ولتبد تلك التي يجب أن تبيد، والتي تبقى تأكل لحم رفيقاتها» (زك١١:٩). «من أجل هذا أنا أعمي عينك اليمنى وأيبس ذراعك الأيمن. عينك التي نظرت الهدايا ستعمى، ويدك التي لم تتصرف بعدل ستُقطع» (زك١١:١٧).

«وغنمي غنم مرعاي، أنتم أيها البشر، وأنا الرب إلهكم» (حز ٣٤:٣١). من الآن أرعاكم في مرعى صالح ودسم. «الراعي الصالح يبذل نفسه عن خرافه» (يو١٠). وقال أيضاً: «لي خراف أخر ليست من هذه الحظيرة، ينبغي أن آتي بتلك أيضاً، فتسمع صوتي، وتكون رعية واحدة وراعٍ واحد. لهذا يحبني الآب لأني أضع نفسي من أجل الخراف» (يو١٠). ثم قال: «أنا هو باب الخراف، كل من يدخل بي يحيا، فيدخل ويخرج ويجد مرعى».

أيها الرعاة، تشبّهوا بهذا الراعي المتيقّظ، رأس كل الرعية، وتأملوا كم اهتّم بالقطيع. قرَّبَ البعيدين وأعاد الضالين، وزار المرضى وقوّى الضعفاء، وعصب المكسورين وحفظ السمان. أسلم نفسه من أجل قطيعه واختار رعاة مجيدين وعلمهم وسلّم الخراف إلى أيديهم وسلطهم على كل رعيته. قال لسمعان بطرس:

إرعَ خرافي، حملاني، نعاجي. فرعى سمعان خرافه، ولما تمّ زمانه أسلم الرعية ومضى. فارعوها أنتم ودبروها حسناً. فالراعي الذي يهتم بخرافه لا يعمل عملاً آخر، فلا يجعل له كرماً ولا ينصب جنائن، لئلا يقع في هموم هذا العالم.

هل رأيتم راعياً يترك خرافه في البرية ويذهب إلى التجارة، أو يترك قطيعه يَضلْ ليكون فلاحاً ؟ فإن ترك قطيعه وعمل هذه الأعمال، يكون **كَمن سلّم رعيته للذئاب**. تذكر يا عزيزي أني كتبت لك عن آبائنا الأولين الذين تعلموا كيف يرعون الغنم، فاقتنوا خبرة في هذه العناية. إختيروا لتدبير البشر، لأنهم تعلموا كيف يهتم الراعي برعيته. وكما دبّروا الخراف باجتهاد هكذا يكمّلون هذا التدبير. إختار اللّه يوسف من وراء الغنم ليدبّر المصريين في وقت الضيق. واختار موسى من وراء الغنم ليدبر شعبه ويرعاهم. وأخذ داود من وراء الغنم ليكون ملكاً على إسرائيل. وأخذ الرب عاموس من وراء القطيع وجعله نبياً على شعبه. وأخذ أليشع من وراء المحراث ليكون نبياً في إسرائيل.

ما عاد موسى إلى غنمه ولا ترك رعيته التي سُلِّمت إليه. وما عاد داود إلى غنم أبيه بل دبّر شعبه بكمال قلبه. وما عاد عاموس ليرعى القطيع ويلتقط الحطب، لكنه اهتمّ بنبوءته وأتمّها. وما عاد أليشع إلى محراثه بل خدم إيليا ثم حَلَّ محله. والراعي الذي كان له المقتنيات، والذي أحبّ الضيع والتجارة والكرم والزيتون والعمل، لم يُرده له تلميذاً، ولا سلّم رعيته إلى يديه.

أسألكم أيها الرعاة، **أن لا تُقيموا في الرعية رعاة جهالاً وبلداء وطماعين ومحبين للمقتنيات**. كل من يرعى الخراف يأكل من لبنها، ومن يقود المحراث يستفيد من عمله. ويجب على الكهنة أن يقاسموا المذبح، واللاويين أن يأخذوا العشور. مَن يأكل من اللبن يكون قلبه على رعيته، مَن يستفيد من عمل المحراث يكون متيقظاً في الفلاحة. والكهنة الذين يُقاسمون المذبح يخدمون المذبح بالبهجة، واللاويّون يأخذون العشور، لأن ليس لهم حصة في إسرائيل. فيا أيها الرعاة، تلاميذ راعينا العظيم، لا تتشبّهوا **بالأجراء، لأن الأجير** لا يهتم بالخراف. بل تشبّهوا براعينا الحلو الذي لم يحب نفسه أكثر من خرافه. ربّوا الشبان، هذبوا العذارى، أحبوا الخراف وربوها في أحضانكم. حتى ما أتيتم إلى رئيس الرعاة، تقرّبون إليه خرافكم كلها كاملة، فيعطيكم ما وعد به: «حيث أكون أنا تكونون أنتم أيضاً» (يو١٢).

مقابلة مع الجمل المدهش

قُلْ لنا أيها الجمل المدهش بعض الصفات التي تتحلى بها؟

فأجاب الجمل وهو يرعى الشوك وقال: كما تراني عندما أكون جائعاً آكل كل شيء، حزاماً من جلد، قطعةً من الحبال، أو حتى حذاء من يمتلكني. إن جدار فمي قاس جداً ويندثر فيه حتى شوك الصبار. أنا الجمل سريع الجريان، وأعيش في صحراء الشرق الأوسط. وربما تريد أن تسألني عن سنامي، أنه مخزن طعامي ويزيد وزنه عن ٣٥ كغم من الشحوم. لقد صمّمني خالقي الذكيّ تصميماً حكيماً لأستعمل هذه الشحوم في حالة الجوع، ولهذا يضمر سنامي ويحل جانباً في تفريغ ما خزّن به من الشحوم، وعندما أجد فرصة يكثر فيها الطعام والماء، يرجع سنامي إلى حالته الطبيعية.

وفي الصحراء القاحلة أحياناً لا أجد شربة الماء لمدة ثمانية أيام، وتظهر علامات العطش عليّ بشكل واضح، وذلك بظهور أضلاعي في جسمي. وينقص وزني بما يقارب ١٠٥ كغم. ولكن حالما أجد الماء، أشرب حتى أرتوي، وذلك بما يعادل مائة لتر من الماء، وبعدها أعيد وزني بعشر دقائق فقط. لقد صمّمني الخالق تعالى للصحراء الحارّة والجافة. يستخدمني الناس كسفينة الصحراء فأنا أسير على الرّمال الحارّة والطرية بسهولة تامة، لأن خالقي أعطاني حذاءً مصمّماً من أجل هذه المهمة الصعبة، حتى لا تغوص رجلايّ في الرمال المتحركة، وما أكثر العواصف الرملية في الصحراء، لكنها لا تؤثر فيّ قط، لأن خالقي الحكيم صمّم لي أنفاً فيه عضلات خاصة لا تسمح للرمال بالدخول، بل تعطيني إمكانية التنفيس بحرية تامة. وتجد ايضاً أن خالقي أعطاني رموشاً طويلاً فوق عينيّ حتى تحميها من الرمال الطائرة، ولكن من شدّة الرياح تدخل بعض حبات الرمال في عيني. وفي هذه الحال أستعمل أجفان عيني الداخلية لمسحها وأزاحتها كما تستعمل السّيارة مسّاحاتها في عصرنا الحالي.

ولكن السؤال المدهش هو: لماذا يفكر الناس بأن التطور الداروينيي أوصلني الى هذه الحالة من التقنية الرائعة؟ أن اللّه هكذا خلقني، أن هندستي رائعة و تصميمي فنيّ جداً. أنا الجمل سريع الجريان. أن هذا التصميم الرائع لا يحصل بالصدفة كما يقولون لقد خلقني الباري تعالى كما يقول الكتاب المقدس ،أنه مصمّم عظيم ،أن أسمه يسوع الذي يقول لنا «كل شئ به كان و بغيره لم يكن شئ مما كان»(يو١:٣). لقد صمّمني يسوع حتى أعيش في الصحراء وأساعد الناس، وصمّمك ايضاً أنت يا عزيزي حتى تعيش كأحد أولاده في عائلته الكبيرة في كل أنحاء العالم كما يقول الكتاب المقدس «أن الجميع أخطأو و أعوزهم مجد اللّه». (رو٣:٢٣). يا عزيزي ، لقد أتى المسيح حتى يخلصك من الخطية لقد مات كضحية عنك حتى تقدر أن تعيش حياة الخلود، الحياة الأبدية حياة النعيم. وعندما تؤمن بالمسيح من كل قلبك تصبح من أولاد اللّه كما يقول الأنجيل «و أما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد اللّه أي المؤمنون بأسمه» (يو١:١٢).

صديقك : الجمل المدهش ـ سفينة الصحراء

العهد القديم في الكتاب المقدّس (٥٩)

الفصل السادس:

ب- مملكة داود ـ (١٠١٠-٩٧٠ ق.م.)

(١صم١٦ـ٣١ ؛ ١مل١ - ١١ ؛ ٢أخ١١ - ٢٩)

داود ملكاً على إسرائيل:

لم يتورّط داود في قتل أبنير أو إيشبوشت، فقد كان رجل الإيمان، وبموتهما إنتهت المنافسة على العرش وأُفْسِحَ له المجال ليحكم على كل الشعب، وبموت أبنير تخلّص داود من مَنافس عنيد، وبذلك إنهارت مملكة شاول لتنتقل إلى داود، ولم يكن داود مغتصباً للعرش، فاللّه أعطاه الحقّ أن يعتلي العرش وهي حقيقة إعترف بها شاول نفسه وأقرّها أبنير واعترف بها أخيراً كل الشعب (١صم ٢٤، ٢صم٣-٥). ولذلك أتى شيوخ الأسباط الشمالية إلى داود في حبرون وتوّجوه مَلكاً على كل إسرائيل، وكان ذلك في إحتفالٍ عظيم في السنة ٣٧ من عمره (١أخ١٢ ـ ٣٩)، وظلّ يحكم المملكة لمدّة ثلاثة وثلاثين عاماً متتالية.

داود النبي والملك

أورشليم عاصمة المملكة:

كان هناك جبلان إشتهر بهما العهد القديم، هما جبل سيناء وعليه أُخِذَت الشريعة، وجبل صهيون في أورشليم مدينة الهيكل العظيم (عب١٢: ١٨-٢٤)، وكانت أورشليم مدينة حصينة وسط الجبال ولها موقع متوسط في القطر، وهي مدينة جميلة ببساتينها، وتقع على رابية مثلثة الشكل يحدّها من الجانبين واد عميق، وبها ينبوعٌ يمكن الأعتماد عليه كمصدر للمياه، وحولها جبالٌ جيريّة تحميها، أما سفوح جبالها فهي غنيّة بأشجار الزيّتون وبساتين الكروم، ومع أنّ جزءاً من أورشليم صارَ لسبط يهوذا بعد الغزو (قض١-٨) إلا أن الحصن في جبل صهيون لم يسقط (يش١٥: ٦٣ ، قض ١: ٢١) وكان يحتله اليبوسيّون سكان أورشليم الأصليّون (٢صم٥: ٧) ولهم ما يبرّرهم في تفاخرهم أن حامية من العمي والعرج تستطيع أن تحتفظ بالمدينة لصعوبة إقتحامها، وظلّت أورشليم منذ زمن يشوع تحت تسلّط اليبوسيين، ولم تكن تحت حكم إسرائيل حتى تملّك داود. ولم يُقَدِّر اليبّوسيون داود حقّ قدره، ولكن داود أثبت براعته وظهرت قدراته إذ حفر يوآب ورجاله خندقاً تحت الأرض من خلال القنوات التي كانت تُسْتَخْدَم لتصريف مياه الأمطار، وصَعَدَ مع رجاله سرّاً عن طريقها (١أخ ١١: ٦) وتسلل منها إلى داخل الحصن وفتح الأبواب أمام الجيش، فإندفع جيش داود إلى داخل المدينة فأخضعها داود، وكانت أورشليم وقتئذ مدينة متواضعة لا تتعدّى مساحتها ١٢ فدّاناً على مرتفعات الأوفيل الصخريّة، ولا يزيد سكانها عن ٢٥٠٠ نسمة، وإن كانت المدينة لها تاريخٌ قديمٌ يرجع إلى زمن إبراهيم (تك١٤: ١٨)، وقام داود وبنى المدينة ورمّم أبوابها وحَصَّنَ أسوارها خاصّة الجانب الشمالي حيث كان يمكن إختراقه، وأعادَ بناء قلعة اليبّوسيين وبنى فيها قصراً لنفسه وشَيَّدَ معسكرات للجيش، وصارت أورشليم عاصمته الجديدة، فهي مدينة الملك العظيم التي أنشدَ عنها المزامير: «اللّه إختار صهيون ورضيها مسكناً له» (١٣٢: ١٣).

غزوات داود وانتصاراته:

بدأ داود حكمه بدبلوماسيّة بارعة في جمع شمل الإسرائيليين بأسباطهم في مملكة مُوَحَّدة، وخدع الفلسطينيين عند وجوده هناك وهم الذين كان من مصلحتهم تشجيع إنقسام الإسرائيليين وتمزّقهم بين شاول وداود، فكان داود وهو في المنفى عند أخيش يمهّد الطريق لحكمه إذ كان يستأصل أعداء إسرائيل (١صم٢٧: ٨-١٢).

ولم يَقِلّ داود في إنتصاراته عن شاول وبدأ حربه مع الفلسطينيين الذين شعروا بالقلق بعد أن استولى داود على قلعة اليبوسيّين وامتلك أورشليم، فنزل الفلسطينيون في وادي الرفائيين وهو وادي خصيب بين أورشليم وبيت لحم، لكن داود لم يتقدّم إليهم معتمداً على قوّته، بل سأل الربّ أولاً وأعطاه اللّه إشارة البدء، أن يدور من وراء أشجار البكا (التوت) وحينما يسمع صوت خطوات أي صوت الريح وهي تحرّك الشجرة، يكون ذلك علامة حضور اللّه، وبذلك تقدّم داود وهَزَمَ الفلسطينيين هزائم مروعة واستولى على حصنهم في جت (٢صم ٨: ١). وأزال رعبهم الذي كان يهدّد الإسرائيليين .

ودفع داود بغزواته في كل إتّجاه، وكان تصميمه على هزيمة دُوَل عبر الأرن أدوم وموآب وعمون ليفتح أمام بلاده الطريق الملكي، ذلك الطريق التجاري الممتد من البحر الأحمر إلى الفرات، فحارَبَ الأدوميين وانتصرَ عليهم في وادي الملح (٢صم٨: ١٣ ، ١أخ١٨: ١٢)، وحاربَ الموآبيين والعمونيين وهَزَمهم (٢صم٨: ١٢)، وحاربَ أعداءه العمالقة الذين يسكنون النقب وانتصرَ عليهم (٢صم ٨: ١٢) وشملت حروبه السوريين فهزم **هدد عزر بن رحوب** (٢صم٨: ٣)، واحتفظ بعلاقات متوازنة مع فينيقية على البحر المتوسط، مما جعل إمبراطوريّته آمنة الحدود، وقد امتدّ بسلطانه في الشمال وحصل على إمتيازات في إقليم نهر الفرات، فحكم داود مملكة متّسعة الأطراف، واعتُرِفَ بسلطانه بين كلّ الشعوب، وصارت مملكته منفتحة التجارة بين مصر والفرات.

القديس الجديد المعترف جوارجيوس كارسليذس

في منطقة دراما في شمال اليونان

في الثالث من تشرين الثاني ٢٠٠٨، أعلن البطريرك المسكوني، في قداس أقامه في مدينة دراما في شمال اليونان، عن قرار المجمع القسطنطيني ضمّ القديس الجديد المعترف الأب جاورجيوس كارسليذس إلى سنكسار الكنيسة. يُعيَّد للقديس في الرابع من تشرين الثاني.

طفولته :

وُلد القديس جاورجيوس كارسليذس في أرغيروبوليس في البنطس عام ١٩٠١، سُمّي أثناسيوس عند معموديته، تيتّم باكراً فربّته جدّته «على حبّ الله ومحبة الخدمة في الكنيسة». البنطس في آسيا الصغرى، هي تاريخياً مركز للأرثوذكسية وفيها مراكز مهمة مثل: **ديريّ السيدة (سومالا) والبيريسستيريوتا ودير القديس يوحنا فازيلونوس**. في سنّ الخامسة بدأ أثناسيوس يرعى القطيع العائد للعائلة محتملاً سوء معاملة أخيه الأكبر له ولأخته حنّة. لقد احتملا أخاهما، الذي جعل حياتهما جحيماً، بمحبة وصبر وقداسة. وقد توفّت حنّة باكراً، وعند دفنها برز نور من قبرها، وبعد ثلاث سنوات سُحبت بقاياها من القبر فوُجدَت صفراء اللون كعظام قديسي الله. وهكذا فإن سني أثناسيوس الأولى تخلّلها الورع والقداسة من حياة مُقدّمة لله، كما الألم من معيشته غير الثابتة المشوّشة. هذا الفهم الواقعي للحياة ظهر لاحقاً أساساً ثابتاً لنمو أثناسيوس الروحي.

إلى جورجيا:

عند بلوغه السابعة، قرّر أثناسيوس الهرب مما يعانيه فاختبأ عند بعض المسيحيين المتخفّين خوفاً من الأتراك. كان **القديس جاورجيوس العظيم في الشهداء** حاميه وقد ظهر له وأصعده على حصانه وساعده على السفر إلى تبليسي في جورجيا حيث التقى بكاهن تقي اهتمّ به.

تأثّر الكاهن بنضج أثناسيوس وروحانيته وصار يلبسه غمبازاً من عمر التاسعة. في ١٩١٩، سيم أثناسيوس راهباً متّخذاً اسم سمعان، وخلال سيامته راحت أجراس الدير تقرع من ذاتها. وقد عانى الأب سمعان صعوبات كبيرة إذ ما لبث الشيوعيون أن أغلقوا ديره وأذلّوا الرهبان وسجنوهم وهددوهم بالقتل.

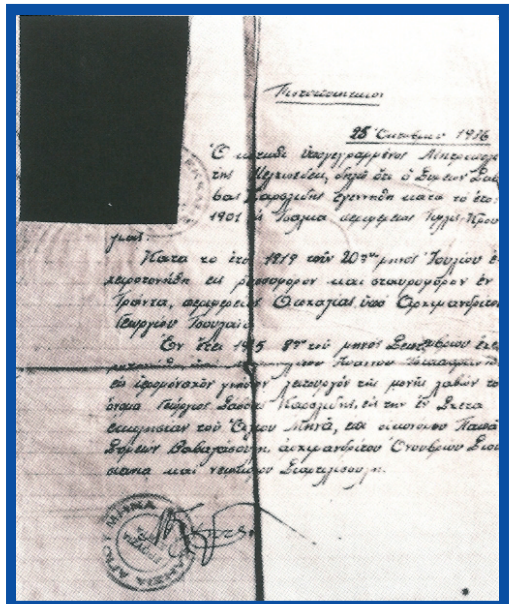

هذا الوثيقة، تشمل مراحل إرتقاء درجاته الكهنوتيّة. بتاريخ ١٩٣٦، السنة التي زار فيها الأماكن المقدّسة.

في السجن:

ما يلي هو قصة جميلة عن زمان وجود القديس جاورجيوس كارسليذس في السجن. كان قد تقرّر إعدام المسجونين في يوم أحد الفصح، فطلب الرهبان والكهنة منهم الإذن بالذهاب إلى الكنيسة. ولمّا لم يُسمَح لهم صلّوا بحرارة في السجن لكي يعطيهم الله القوة للاستمرار في جهادهم. وما أن رتّلوا «**المسيح قام**» حتى ارتجّ السجن وانفتحت الأبواب. أسرع سكان تلك الأنحاء ليروا ما يجري فرأوا ثلاث قديسين يرتلّون «يا رب ارحم» ويحملون الصليب ويدورون فوق السجن. استمرّت الرؤيا إلى الفجر الوقت المقرَّر لتهيئة المحتَجَزين للإعدام. فرُبطوا معاً واقتيدوا إلى حافة جُرْف، صوّبت فرقة الرماية وأطلقت النار، فإذ بثلاث رصاصات تَمسّ سمعان وبالكاد تؤذيه، سُحب إلى الجرف مدفوعاً بوزن الآخرين، فوقع ولم يمت بل بقوة عجائبية نجا من الموت.

جاورجيوس كاهناً:

ما أن أُطلق من السجن حتى سامه الميتروبوليت يوحنا تسيلبارسكي مطران غروزيا سخاتا سنة ١٩٢٥، وأعطاه اسم جاورجيوس. عرفه الكثيرين أباً متوشحاً بالله. بالرغم من ظروفه الصعبة، كان ثابتاً في جهاده النسكي، مكتفياً بالبقول الخضراء في طعامه، قليل النوم، ملتزماً بالفقر الطوعي، حتى أنه كان يرفض الغمباز الجديد مع أن القديم كان يهترئ. خدمة الأسرار لديه كانت مفعَمة بالمحبة والحرص والانتباه. أثناء تهيئة الذبيحة، كان الرب يُعْلِمُه بالحالة الروحية للذين يذكرهم، من أحياء ومتنيّحين. وبحسن تمييز كبير، كان ينقل الإعلام لأبناء رعيته، إمّا ليشجعهم على الصلاة بحرارة أكبر لأجل نفوس الراقدين أو ليجلب الخطأة إلى التوبة. قبل إخراج القُدُسات للمؤمنين كان يدعو المستعدين للمناولة إلى باب الهيكل الأيسر حيث يقرأ لهم إفشيناً ويمسحهم بالزيت.

في بعض الأحيان، رآه البعض مرتفعاً عن الأرض خلال القداس الإلهي. غالباً ما زاره قديسون أثناء إقامته للقداس.

إلى اليونان:

في سنة ١٩٢٩، والأرجح أنه بسبب صحته المتدهورة وقد كان دون الثلاثين من عمره ولكنه نصف مشلول، انتقل القديس إلى اليونان واستقرّ في مدينة سيبسا قرب دراما في شمال اليونان. بدأت صحته تتحسّن تدريجياً بمساعدة أهالي المنطقة الذين عرفوا بقداسته وطلبوا معونته. في سنة ١٩٣٦، ذهب الأب في رحلة حجّ إلى الأراضي المقدسة حيث التقى بعمّه وكان راهباً فطلب من الأب العودة ليخدم في العالم حيث الحاجة للإرشاد الروحي كبيرة.

لاحقاً، أعطت الدولة اليونانية الأبَ قطعة أرض وفي سنة ١٩٣٩ أسّس دير صعود المخلّص. هناك الكثير من الروايات عن الإرشادات والعجائب التي اجترحها في الفترة التي كان فيها راعياً في دراما. لقد تنبأ بالحرب العالمية الثانية والحرب الأهلية اليونانية.

خلال **الحرب الأهلية**، أتى إلى سيبسا، **بهدف تصفية أهلها، ثلاث مجموعات مختلفة** وأحسّت كلٌ منّها بندم شديد وخشية واعترفت قبل أن تؤذي الأهالي. لقد تنبأ الشيخ بهذا الخبر وطلب من السكان القيام بزياح حول المدينة حاملين أيقونة والدة الإله. وهكذا خلُصَت المدينة من الخراب.

التمييز والعجائب:

هناك قصص كثيرة تُروى عن تمييز القديس جاورجيوس ومواهبه الروحية. زارته إحدى النساء مرة وقبل أن تلقي التحية عليه قال لها: «إن يديك على نار. إنها تحترق، لكننا لا نرى النار. ما الذي تفعلينه؟» فأجابته بأنها قابلة، فسألها «كم من الأولاد قتَلت ؟» فأنكرت قتلها لأي ولد. فقال لها «أأقول لك؟ خمسة». ثم راح يفصّل لها في أي قرية **ومَن هنّ الأمّهات اللواتي أجهضتهن**. أجهشت المرأة بالبكاء عاجزة عن الكلام ومن ثمّ تصالحت مع اللّه بالتوبة الفعّالة.

وفي أحد الأيام، جلبت له إحدى النساء بعض السفرجل.

في طريقها، أوقفتها امرأة حامل وطلبت منها البعض منه لكنها رفضت أن تعطيها. وعندما أوصلتها عند الشيخ قال لها «في الطريق انفتح باب الفردوس لكنّك أغلقته».

نهاية الرحلة:

في بداية السنة ١٩٥٩، رأى القديس دنو أجَله. مع اقتراب ذلك اليوم، أعلم أبناءه الروحيين برحيله. ليلة رقاده طلب المساعدة ليدخل كنيسة الدير. هناك سجد للأيقونات واشترك في القدسات للمرة الأخيرة. رقد بالرب في الرابع من تشرين الثاني ١٩٥٩، بعد ساعات قليلة من منتصف الليل.

اليوم تتابع أخوية من الراهبات الميراث الروحي للقديس في ديره، دير الصعود الإلهي في سيبسا، دراما، اليونان الشمالية.

من أقواله:

* إذا صلّى المرء دون أن يتصدّق تكون صلاته فارغة (ميتة). يجب أن تكون يداه ممدودتين دائماً للأيتام والأرامل. فإن الصلاة والصدقة يتكاملان.

كنيسة الصعود، في مدينة سيبسا قرب دراما في شمال اليونان

ضريح القديس جوارجيوس كارسليذس، الموضوع باكرام خارج كنيسة الصعود، في القسم الشرقي من خلف الهيكل.

* يجب على المرء أن يجاهد في تزكية إيمانه. وفي القدّاس الإلهي، يجب أن يبقى مركزاً الذهن على الخدمة دون تشتت لكي يستحق المرء أن يساهم القدّسات.

* على المرء ألا يتأثر لا بمال ولا بمجد. يجب أن يكون مستقيماً في حياته وأن يأكل خبزه بتعب جبينه. والذي يحصل عليه بشرف لا يُبَدَّد بلا هدف. عليه العيش بكرامة وتواضع وأن يتصدّق بقدر استطاعته على الفقراء...يجب أن يفضّل بيوت الحزانى على بيوت الفرحين. وإذا ما صنع الأعمال الخيرية فسينال مكافأة كبيرة من الرب.

* أحبب كل النّاس حتى أعداءك، هذا هو الأساس. أحبب لا من يحبك فقط بل من يكرهك أيضاً. سامح كل الناس وأحبهم جميعاً حتى لو صنعوا بك شروراً عظيمة؛ هكذا يعرف الناس أننا أبناء اللّه. وبهذه الطريقة تُغفر ذنوبنا أيضاً...بشِّر دائماً بالحب. هذه هي شريعة الرب الجوهرية: **الحب والحب وحده** .

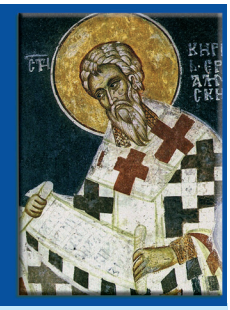

العظات الثمانية عشر لطالبي العمّاد

لأبينا القديس كيرلّس

رئيس أساقفة أورشليم

العظة السادسة

في وحدانية الله: أؤمن بإله واحد

«... انّما اللّه فيك وليس آخر، ليس إله غيرَه. إنّك لإله متحجّب، يا إله اسرائيل المخلّص ... إنكم لا تخزون ولا تخجلون الى دهور الأبد ، لأنه هكذا قال الرب خالق السماوات ، اللّه جابل الأرض وصانعها ... إنّي أنا الرب وليس آخر» (أشعيا ٤٥: ١٤-١٨)

٢٩) ـ أمثال عن عمى الوثنيين:

هذا، ويفسّره البعض تفسيراً محقّاً يليق بنا أن نأخذ به: إنّ حقاً هو أعمى أذهانهم لكيلا يؤمنوا، فقد أعماهم لأجل غاية صالحة، لكي ينظروا نحو الخير، لأنه لم يَقُل: «أعمى نفوسهم» بل «أذهان غير المؤمنين». ومعنى هذه العبارة هو كالآتي: «إعم الأفكار الدنسة عند الرجل الدنس فيَخلُص، إعم دهاء اللص فيخلص الرجل». وإن كنتَ لا تقبل هذا التفسير، فهناك تفسير آخر: الشمس تعمي مَن كانت عيونهم مريضة، فمن كانت أعينهم مريضة يعميهم النّور، لا لأنّ من خصائص الشمس أن تعمي، بل لأن جوهر العيون عاجز عن البَصَر ؛ وهكذا الحال مع غير المؤمنين: بما أنّ قلوبهم مريضة، فهم لا يستطيعون التطلّع الى بهاء اللاهوت. فهو لم يَقُل: «اعمى أذهانهم لكيلا يفهموا الانجيل» ، بل «لئلا يروا ضياء بشارة ربّنا يسوع المسيح» (٢كو٤: ٤). يحق لكل انسان أن يسمع الإنجيل، أما ضياء البشارة فمحفوظ للذين يعرفهم المسيح. لأجل هذا تكلّم الربّ بأمثال مع الذين كانوا لا يقدرون أن يسمعوه (متى١٣: ١٣). وكان يخلو بتلاميذه ليفسّر لهم الأمثال (مر٤: ٣٤). لأن ضياء المجد كان للذين تلقّوا النور، والعمى كان لغير المؤمنين. هذه الأسرار التي تشرحها لك الكنيسة الآن، أنتَ يا مَن تجاوَز مرحلة طالب العمّاد، لم تَعْتَد أن تفشي بها للوثنيين. إننا لا نبوح للوثني بالأسرار الخاصّة بالآب والابن والروح القدس؛ إننا لا نتكلم بأسرارنا الى طالبي العماد إلاّ بطريقة مقتضبة. ولكننا غالباً ما نتحدّث بطريقة مستترة، حتى يفهم المؤمنون الذين يعرفون، ولا يتكدّر الذين لا يعرفون.

٣٠) ـ أعدام ماني:

بمثل هذه البراهين وغيرها يُغلَب التنين، وبمثل هذه المناقشات صَرَعَ **ارخلاوسُ ماني**. فهرب من هذا المكان ذاك الذي كان قد فَرَّ من السجن، ولجأ الى قرية حقيرة، مثلما فعلت الحية في الفردوس: تركت آدم واقتربت من حواء؛ لكن ارخلاوس، الراعي الأمين الذي يسهر على قطيعه، ما أن سمع بهربه حتى أسرع الى البحث عن الذئب. وعندما رأى **ماني** خصمه فرّ هارباً، وكان هذا آخر هرب له. إذ بحث عنه خيّالة الفُرس في كل مكان وقبضوا على الهارب. وأبلغوه قرار الحُكم الذي كان يجب أن يُنَفَّذ فيه بحضور ارخلاوس. لقد اعتُقِلَ **ماني** ـ هذا الذي كان يعبده تلاميذه ـ وأُحضِرَ أمام الملك؛ فوبّخه الملك على كذبه وهربه وازدرى عبوديته، وانتقم لموت ابنه، وحكم عليه بالموت بسبب قتل حرّاس السجن. فأمَرَ **بسلخ جلد ماني** حسب قوانين الفُرس، وقُدِّمَ جسده طعاماً للوحوش الضارية، أما جلده الذي كان يغطّي ابشع نَفس، فَعُلِّقَ على أبواب المدينة. والذي كان يدّعي انه البراقليط، ويعلَمَ الغيب ويتكهّن به، لم يعرف ان يتكهّن بهربه الخاص !

٣١) ـ تلاميذ ماني وسخافة التقمّص:

كان له ثلاثة تلاميذ: **توما، وبدّاس وهرماس**. لا يقرأنّ احد «**انجيل توما**»، لأنه ليس من أحد الرسل الإثني عشر، بل احد الثلاثة من تلاميذ **ماني**. لا يذهبنّ أحد الى المانيين مُفسدي النفوس الذين يتظاهرون بالصيام بشربهم عصير القشّ، ويتكلّمون بالشرّ على خالق الأطعمة، بينما هم يتلذّذون بأشهى الأطعمة. إنهم يعلّمون ان من اقتلع العشب يتحوّل اليه. فإن كان احد يجمع عشباً أو بقولا يتحوّل اليها، فإلى كم نوع يتحوّل المزارعون والجنائيون؟ الجنايني الذي أخذ منجله وجعل يقلع الأعشاب الرديئة، كما نراه يفعل، الى أيّ نوع من العشب يجب أن يتحوّل؟ أليس حقّاً من السخافة أن يؤكّد أحد مثل تلك العقائد السخيفة المشينة! الراعي الذي ذبح نعجة وذئباً، فإلى أيّ منهما يتحوّل؟ كثير من الناس يصطادون سمكاً وطيوراً، فإلى أيّ منهما يتحوّلون؟

٣٢) ـ الماني يلعن بدلاً من أن يبارك:

فليردّ المانيّون، ابناء الكسل، هؤلاء المتطفّلون الذين يأكلون من تعب العاملين؛ إنّهم يرحبّون ببشاشة بالذين يُحضرون لهم الطعام، ثم يلعنونهم بدل أن يصلّوا لأجلهم، واذا أتاهم أحد من اتباعهم بتقدمة ما، يقولون له: «ابتعد قليلاً فأباركك». ثم يأخذ الخبز في يديه ويقول المانيّ للخبز: ـ كما أقَرَّ بذلك الذين ارتدّوا منهم ـ «انا لم اصنعك»، ثمّ يصبّ اللعنات على العليّ ويلعن الخالق ؛ وهكذا يأكل الخبز، إن كنتَ تبغض الطعام هكذا، فلماذا تبتسم لمن يقدّمه لك؟ وإن كنتَ شكوراً لمن قدّمه لك، فلماذا تصبّ اللعنات على الخالق المُحسن، على اللّه ؟ ويتابع المانيّ: «أنا لم ازرعك، ليُزْرَع من زَرعَكَ؛ أنا لم أحصدك، ليُحصَد مَن حصَدَكَ، أنا لم اخبزَكَ في النّار، ليُشْوَ مَن خبَزَكَ». ها هو امتنان اولئك الناس.

٣٣) ـ تصرّفات المانيين البذيئة:

هذه التصرفات تدلّ على فساد الأخلاق، ولكنها ليست بشيء اذا ما قورنت بغيرها. إنّي لا اجرؤ على وصف استحمامهم أمام الرجال والنساء، لا أجسر فأقول ماذا يلمسون عندما يغطسون، وأية قباحات يتعاطَون! ليُفهَم بالتلميح الى ما نقول: ليفكّر الرجال

في ما يحدث لهم في احلامهم والنساء في حيضهنّ. إننا ندنّس فمنا بالتحدّث عن هذه الأمور المخزية. هل يستحق الوثنيون كراهية اكثر منهم؟ هل السامريون اكثر كفراً منهم، واليهود اكثر ذنباً، والزناة اكثر فسقاً منهم؟ لأن الذي يستسلم للفسق انما يفعل ذلك للذّة مدّة ساعة، ولكنه بعد ذلك يدين عمله ويقرّ بأنه تنجّس، ويشعر بحاجة الى التطهير، ويعترف بقباحة فعله. أما **الماني** فانّه يُقيم مذبحه وسط الأدناس ويُلَوّث فمه ولسانه. وأنتَ أيها الانسان، هل تقبل تعليماً من فم كهذا؟ وتذهب للقائه فتقبّله ؟ فَبغَضّ النظر عن كُفرهم، ألا تهرب من دَنَس هؤلاء الأشرار الذين هم شرٌّ من كلِّ أوكار الدعّارة!

٣٤) ـ كيف يفسّر المانيون المطر:

تندّد الكنيسة بهذه الأمور وتعلّمك، إنها تكشف عن الأوحال كي لا تقع فيها. تُريكَ الجراحات لكي لا تُجْرَح. يكفيكَ أن تعرف هذه الأشياء دون أن تجرّبها. اللّه يُرعد وكلّنا نرتعد، أما هؤلاء فيجدّفون. يُرسل اللّه الصاعقة ، فننحني جميعاً حتى الأرض، أما هم فيرسلون اللعنات ضدّ السماء. يقول يسوع إن اباه «يُطلع شمسه على الأشرار والأخيار ويُنزل غيثه على الأبرار والفجّار» (متى٥:٤٥)؛ وهؤلاء يقولون ان المطر يتأتى عن حبٍّ فاسق ويجرؤون على التأكيد بأن السماء عذراء جميلة وشاباً جميلاً، وأنهما يشعران كالجمال والذّئاب في أيام القيظ بالشهوة الجنسيّة تدفعهما الواحد نحو الآخر في فصل الشتاء. فيسعى الشاب الى العذراء بوحشيّة، فتهرب، ولكنه يطاردها؛ وهو إذ يركض وراءها يعرق، وهذا العَرَق هو المطر. هذا مكتوب في اسفار المانيين، وقد قرأناه، إذ لم نكن نصدّق أقوال مَن سردوه؛ وقد قمنا بهذه الابحاث في عقيدة الكفر لفائدتكم.

٣٥) ـ ما أجمل الحياة المسيحية بالنسبة لحياة المانيين:

ولكن ليحفظكم اللّه من مثل هذا الضلال، وليجعلكم تكرهون هذه العقيدة النكراء كرهكم للحيّة ؛ بحيث يتسنّى لكم ان تسحقوا رأسهم بينما هم يرصدون عقبكم (تك٣:١٥)اذكروا ما قيل لكم:أيّ اتفاق يمكن أن يكون بين عقيدتنا وعقيدتهم؟ أية صلة ممكنة بين النّور والظلمات؟ (٢كو٦:١٤). أية علاقة بين قداسة الكنيسة وأعمال المانيين المشينة؟ هنا ترتيب ونظام وقداسة وطهارة، وهناك النظر الى امرأة لاشتهائها (متى٥:٢٩) واللعنة. هنا الزواج المقدس، والعفة في الترمّل والبتولية الملائكيّة، والشكر بعد الطعام والامتنان للخالق موزّع كل شيء ؛ هنا يُعْبَد ابو المسيح، هنا الخشوع والورع نحو مرسل المطر ؛ هنا نرفع التمجيد لذاك الذي يبرق ويُرعد.

٣٦) ـ اختاروا عقائد الكنيسة السليمة:

إتحد بالنعاج واهرب من الذئاب، ولا تبتعد عن الكنيسة، وامقت الذين تلوّثوا يوماً بهذه العقائد. وإن هم لم يتوبوا فعلاً بارتدادهم الى العقائد السليمة، فلا تخاطر وتلحق بهم. لقد سلّمتُ اليك الحقيقة عن وحدانية اللّه، فميّز بين التعاليم كما تميّز بين الأعشاب: «تحقّقوا كل شيء وتمسّكوا بالحسَن. اجتنبوا كل شرّ» (١تسا ٥: ٢١). وإن كنتَ فيما مضى مثلهم، فاعترف بخطئك. لأن هناك طريقاً للخلاص، اذا أنت تقيّأت السمّ ومقتَّ الضلال من كل قلبك، وابتعدتَ عنه لا بفمك بل بنفسك، وعَبَدتَ أبا المسيح، إله الشريعة والأنبياء، واعترفت بأن الإله نفسه صالح وعادل؛ عندئذ يحفظكم جميعاً من كل خطر وعثرة ويُثَبّتكم في الإيمان بيسوع المسيح ربّنا الذي له المجد الى ابد الدهور. آمين.

الإنتباه واليقظة لراهبٍ نسكَ في البادية

أوَّل مقامات الإنتباه هو اليَقَظة من سِنَة الغَفْلَة .

ثمَّ التوّبةُ وهي الرجوعُ إلى اللّه بعدَ الإباق.

ثُمَّ الوَرَع والتَّقوى لكن وَرَعُ أهل الشَّريعة عن المحرّمات وورعُ أهل الطريقة عن الشُّبهات.

ثمَّ المُحاسَبةُ وهي تعدادُ ما صَدرَ عن الإنسان بينه وبين نفسه وبينه وبين بني نوعه.

ثمّ الإرادةُ وهي الرغبةُ في نَيل المُراد مع الكدِّ.

ثمَّ الزُّهدُ وهو تركُ الدُّنيا وحقيقَتُهُ ، التَّبَـرّؤُ عَن غيرِ المولَى.

ثمّ الفَقرُ وهو تخلية القَلب عمَّا خَلَت عنه اليَدُ. والفقيرُ مَن عُرِفَ أنَّهُ لا يقدرُ على شيء.

ثمَّ الصِّدْقُ وهو استواءُ الظاهر والباطن.

ثمَّ التَّصَبُّرُ وهوَ حملُ النَّفس عَلَى المَكاره.

ثمَّ الصَّبرُ وهو ترك الشكوى وَقمعُ النَّفس.

ثمَّ الرِّضاءُ وهو التَّلذُّذ بالبَلوَى.

ثمَّ الإخلاصُ وهوَ إخراجُ الخَلقِ عن معاملَة الحقِّ.

ثمَّ التَّوكُّل وهو الإعتمادُ في كلِّ أموره على اللّه سُبحانه وتعالى مع العلمِ بأنّ الخيرَ فيمَا اختَارَهُ.

قالَ قُثَمُ الزَّاهد: رأيتُ راهباً على باب بيت المقدس. فقلتُ له: أوصني، فقال: كُن كَرجُل احتَوَشتَهُ السِّباعُ فَهوَ خائفٌ مَذعورٌ، يخافُ أن يَسهُوَ فتَفتَرسَهُ أو يلهو فَتَنهَشَهُ. فَلَيلُهُ ليلُ مَخافَة إذا أمنَ فيه المُغتَرُّون. ونهارُهُ نَهارُ حُزن إذا فَرِحَ فيه البَطّالونَ. ثُمَّ إنَّه وَلَّى وتَركَني. فقلتُ زِدني. فقال: إنّ الظمآن يَقنَعُ بيَسير الماء .

قالَ حَكيمٌ: أشهَدُ أنَّ السماوات والأرض آياتٌ دَالاّتٌ. وشَواهدُ قائماتٌ. كلٌّ يُؤدّي الحُجَّةَ ويَشهَدُ له بالرُّبُوبيّة.

وقالَ آخَرُ: سَل الأرضَ مَن غَرسَ أشجارَك. وشَقَّ أنهارَك. وجَنى ثمارَك. فإن لم تُجبكَ إخباراً. أجابَتكَ اعتباراً.

لَقَد جِئتُ أَبغِي لِنَفسِي مُجيراً
فَجِئتُ الجِبالَ وَجِئتُ البُحورا
فَقالَ لِيَ البَحرُ إذْ جِئتُهُ
فَكَيفَ يُجيرُ ضَريرٌ ضَريرا

عصفور في قفص

زرتُ صديقاً عزيزاً لديَّ، فوجدّته يعتني كثيراً بعصفور عنده من نوع البلابل، يضع له الاكل بيديه ويدفئه بالليل خوفاً عليه.

وما هي الا برهة حتى سمعتُ تغريداً جميلاً من ذلك البلبل، فكانت نغماته المفرحة في أذنيّ ارقّ من اصوات آلات الطَرب. وكان العصفور من حين لآخر يقفز في قفصه ويطير في داخله كأنه يريد الانطلاق والتخلّص من ذلك السجن.

قلتُ لصديقي لو كان العصفور ذا عقل لقال لكَ اطلقني، فإنّي لا اريد هذا السجن ولو كان من ذهب. حلّني من وثاقي لآوي الى الطبيعة لاجد لي شجرة أبني لي فيها عُشّاً واكون فيه سعيداً. فإنّ اعتناءَك بي ليلاً ونهاراً لا يساوي شيئاً من حرّيتي. دَعني انطلق لافتّش عن سعادتي في الطبيعة، فإنّ رزقي فيها مضمون وقليلٌ من الحبوب التقطها من الطريق، تكفيني لحياتي.

لو كان العصفور عاقلاً لقال ذلك. ولكنه مسكين لا عقل له يُرشده الى طريق للخلاص من سجنه وأسره. ولكن له حريّة اوجدتها له الطبيعة، يمكنه ان يرجع ويأوي الى الخلاء ليجد هناك سروره ولذّته كما كان. افتح له باب القفص واتركه حرّاً فلا تجده الا طائراً ولا تعود تظفر به مرّة ثانية.

ما أجملك أيها البلبل وما احكم تلك الدروس التي القيتها على نفسي لدى تأمّلي فيك وانتَ في سجنكَ. فانّك وانتَ في السجن مُضَيّقاً على حُرّيتك ومُستعبداً في قَفصك وبُعدُكَ عن البلابل امثالك، لا تزال فَرحاً مسروراً، تُغرّد تغريد السرور كما لو كنت فوق غصن من الاَغصان. فهل تتعلمين يا نفسي درساً من هذا العصفور لَتفرحي وتنشرحي وانت في السجن مُضَيّقاً عليك. لا تزالين يا نفسي مسجونة في الجَسد الذي يُثقل على حريّتك، ومغلّلة بقيود واغلال كثيرة وعادات واخلاق الذين حولك، الذين يُضايقونَك ويضعونَ الحواجز في طريقك. مع ذلك يمكنُك ان تكوني مسرورة اذا شئتِ مثل العصفور.

العصفور مسكين اذ لا عقل له يقدر ان يستعمله ليدبّر له باباً يفتحه للخروج من قفصه. يريد التخلّص من الاستعباد ليكون حرّاً، ولكنه مُقَيَّد ومسجون داخل سجنه. ولكنَّك يا نَفسي بأيِّ عُذر تقدرين ان تعتذري وانت حُرَّةٌ عاقلة مختارة تستطيعين ان تفتحي لكِ في كل يوم ابواباً لحريّتك ؟

اذا خرج العصفور من قفصه فأوّل ما يفعله الهروب من ذلك الذي ظلمه وسَجَنَهُ في القفص. فما بالُك يا نفسي لا تهرُبينَ من كلِّ مكانٍ تجدين فيه ظلماً، وتبحثين عن طُرُقِ سلامَكِ وسعادَتك ؟

لماذا سَجَنَ الانسان ذلك البلبل في القفص وهو يعلم انه متألّم من فَقد حريّته ؟

الجَواب على ذلك، ان الانسان عندما يسمع تغريد البلبل يجد انشراحاً في نفسه.

إذاً أنتَ سَجَنتَ العصفور لأجل لذَّتكَ. واعتناؤك به ليس لاجل خيره، ولكن حُبّاً لذاتكَ. ولأجل لذّتَك وانبساطك سَجنتَ ذلك المخلوق الصغير المسكين وحرمتهَ الطيران والتنقّل فوق الأغصان.

لقد ظَلَمتَ العصفور ظلماً كبيراً. وهكذا تجد كثيرين لاجل لذّتهم وحبّهم لانفسهم **يستعبدون غيرهم ويُقَيِّدونهم ويستخدمونهم لاغراضهم ولو بوضعهم تحت اقدامهم.**

لا شيء اثمن من الحريّة، ولا أذَلَّ للمخلوق من الاستعباد. حرام عليكَ أيها الإنسان ان تستعبد أحداً. لكل مخلوق حريّة، وحريّته اثمن ما يمتلكه واحسن ما يتمتّع به، فَمنَ الظُّلم ان تُفقدهُ حرّيته.

تأمّل ذلك العصفور في حريّته يطير في الجوّ ويحوم حول الفضاء بجناحيه ويطير كما يشاء وينتقل من غصن الى غصن وهو يغرّد فَرحاً بحريَّته. ولكن انظر اليه في قفصه وهو يحاول الطَّيران فتمنعه الحواجزَ التي اوصدت عليه وَسُجنَ داخلها، انّه يمثّل العبوديّة بأشنعِ صُوَرِها.

ما معنى التماس اللذّة من ألم الغير وشقائه؟ لماذا تستعمل سلطتك وقدرتك لاستعباد غيرك. لو كنتَ ذا قلب حسّاس يشعر بألم الغير، لتحوّل تغريد البلبل في أُذُنَيْكَ الى نغماتٍ أنين وشكوى من ظُلمكَ، ولكن اكثر الناس لا يشعرون. والى آلام الآخرين لا ينظرون.

لو كنتَ ايها العصفور ذا قوّة ماذا كنتَ تفعل؟

كنتُ اكسر ذلك السجن تكسيراً واسحق تلك القيود سحقاً وارتفع بجناحَيَّ في الهواء وأُري الإنسان الذي ظلمني بأنّي اعلى منه ، اقدر أن انزل على الأرض وأُحلِّق في الجوّ، وهو لا يقدر أن يرتفع من مكانه.

مسكين ايها العصفور لو امكنك اغتنام الفرصة لاستطعت التخلّص من سجنك وتمتّعت بحريّتك. عندما يفتحون قفصك ليقدّموا لكَ طعامَك فلا تنظر الى تلك الحبوب التي تضعها في فمك

فإنّك تجد اكثر واحسَن منها في الطبيعة، بل اهتمّ في كيفَ تستجمع كل قوّاك لتقفز قفزَةً واحدةً للخروج من ذلك القفص. لو كان لي سلطان لامَسكتُ كل عصفور مُقَيَّد مثلَك واطلقته من سجنه، ووبّختُ الانسان على ظلمه وكبريائه.

قال ڤيكتور هيچو في قصيدة عنوانها الحريّة:

«بأيّ حقّ تضع الطيور في الأقفاص؟ بأيّ حقّ تغتصب هؤلاء المغرّدين وتحرم منهم الغابات والانهار والفجر والصباح؟ بأيّ حقّ تَسلب هؤلاء الاحياء حياتهم؟ أتَظن ايها الانسان بأنّ اللّه خلقَ الجنَاح لتعلّقه على مسمار في بيتك؟ الا يمكنك ان تعيش سعيداً مسروراً بدون ذلك؟ ما الذي فعله هؤلاء المعصومون ليوضَعوا في الحبس؟ مَن يعلم كيف يمتزج حظّهم مع حظّنا ؟ مَن يعلم اذا كان العصفور الذي يُنهَب من الاغصان. ومَن يعلم اذا كان الأذى الذي تؤذي به الحيوانات. واذا كان الاستعباد الذي يجري على البهائم بلا فائدة لا ينقلب على رؤوسنا ظلماً كظلم نيرون .... خُذ حَذَرَك من العدالة الإلهيّة، لأنّ اللّه ينظر الى المكان الذي يبكي فيه الأسير ويصرخ. ألا تفهم أيها الإنسان بأنّكَ ظالم. إطلق سراح هؤلاء المحبوسين، ودَع البلابل تطير في الحدائق، فميزان العدالة وإن اختفى عن الأعْيُن فله كفّتان تَزِن الاعمال».

هذا درسٌ من استعباد العصفور. فيا ايها البشر هل تذكرون النفوس المُضَيَّق عليها في العالم. ما أكثر القلوب التي تئن تحت نير الظلم والاستعباد، إسعوا في أن تفكّوها وتُخلِّصوها من ضيقها.

أيها الإنسان لا تنظر الى نفسك وانتَ سعيد، وبجانبك اخوكَ يَشقَى ويَتعَس. واذا كنتَ حسّاساً ذا قَلب حَيٍّ رقيق لما امكَنَكَ ان تكونَ سعيداً وانتَ تنظر تعاسة وشقاء الآخرين. إسْعَ في تخليص غيرك من تعاسته وَضيقَته، فَلَعَلَّكَ تقع في ضيقَة فَتَجد غيرَك يُخَلِّصَكَ من ضيقَتكَ. لا تنظَر الى نَفسكَ، بل الى ما هو لَلآخرين أيضاً.

تشَبَّه بالسامري الصالح، الذي قدّم محبّة باذلة للغريب، مليئة بالرحمة والشفقة والعطاء.

الحياة صلاة واحدة بلا إنقطاع - للقديس باسيليوس الكبير

ان الوصول الى قوة الصلاة ودوامها لفي استطاعتنا لو شئنا، وهي ليست شيئا نستحدثه او نخلقه خلقاً ، وانما يمكن ممارستها في كل عمل نقوم به مدى الحياة وفي كل لحظة من لحظاتها .

حينما تأخذ مكانك على المائدة إبدأ بالصلاة. لماذا تتسرّع ؟ هل الطعام سيفّر من أمامك ؟ ، حينما ترتدي ملابسك في الصباح ، أشكر الخالق عليها ، عندما تأوي الى فراشك لتلتف بأغطيتك لتنعم بالدفء، استشعر الحب نحو اللّه الذي أحبنا هكذا فأعطانا ما يناسبنا في الصيف والشتاء، هل ابتدأ النهار؟ قم أعط شكراً لمن وَهَبَ لنا نور الشمس بالنهار لنؤديَ عملنا اليومي ونوراً بالليل لنخدم بقية احتياجات الحياة.

عندما تتطلع نحو السماء لتتفرس في جمال النجوم، صلِّ لإله العالم المنظور، واذا رأيت الطبيعة قد غرقت في ظلمة الليل وآوت الخليقة صاغرة الى السُّبات والنوم العميق، حينئذ قُم أنت اعبده،

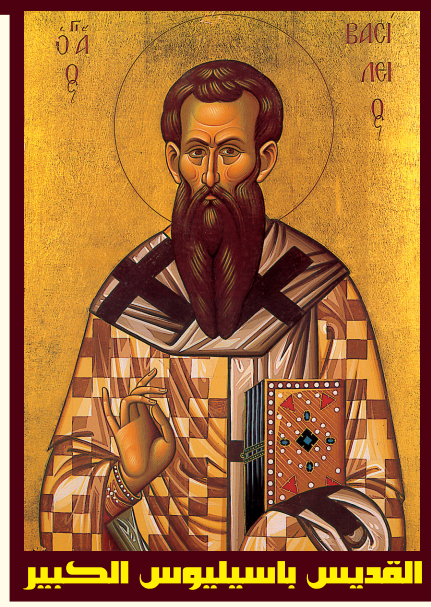
القديس باسيليوس الكبير

اذ اعطانا بالرغم من ارادتنا خلاصاً من ذلك الجذب المستمر نحو الكدّ والنَّصب ليجدّد فينا نشاطنا ويردنا الى شدة قوتنا.

لا تجعل الليل يطغي عليك بظلامه المملّ الطويل ،ولا تدع نصف حياتك يَمُرّ فارغاً في ذلك النَعاس اللاشعوري ، قُم اقسم الليل وانتزع من ظلامه نوراً ومن تراخيه صلاة ، بل اجعل حتى من نعاسك تدارباً للتقوى أليست أحلام نومنا هي في غالب الأمر صدى لمشاغل واهتمامات النهار ؟

فكما كان سلوكنا وجرينا وتفكيرنا هكذا مما لا مفرّ منه تكون أحلامنا !

فاذا كانت يقظتنا في الفضيلة، كانت أحلامنا فاضلة، وهكذا نصلي بلا انقطاع !

الصلاة التصاق باللّه في جميع لحظات الحياة ومواقفها، فتصبح الحياة صلاة واحدة بلا انقطاع ولا اضطراب.

القديس ديمتريوس الفائض الطيب

سيرته المقدّسة:

إنّ ما نعرفه عن القديس ديمتريوس قليلٌ، ومع ذلك فإن له في وجدان الكنيسة ذكراً حسناً ،إكرامه طبَّقَ الآفاق.

وُلِدَ ونشأ في مدينة تسالونيكي، وقد قيل من ابوين تقيين عدما ثمرة البطن طويلاً، الى ان افتقدهما اللّه بعدما استَغرقا في الصلوات والنذور ومحبّة الفقير والصبر.

ويشاء التدبير الالهي ان يعبر الامبراطور مكسيميانوس بمدينة تسالونيكي عائداً من حرب خاضها ضدّ البرابرة السكيثيين، شمالي غربي البحر الأسْوَد. ولما كان والده قائداً عسكرياً، انشأه على ضبط النفس والجهاد والأمانة، كما على التُقَى ومحبّة الفقير. ولما بلغ الأَشُدّ تلقّى من العلم قدراً وافراً، ثمّ انخرط في الجنديّة كأبيه، وأضحى قائداً عسكرياً مرموقاً. وقد أقامه الإمبراطور مكسيميانوس على مقاطعة تساليا، وقيلَ قنصلاً على بلاد اليونان. هذا فيما تذكر مصادر أخرى انّه كان شماساً غيوراً وحسب، لكن غَلَبت عليه صورة الجنديّ.

كانت العادة ان تُقام الاحتفالات ويُرفع البخور للملك والآلهة، وتُقَدَّم الذبائح في المناسبة، فقد اعطى الملك توجيهاته بإعداد العدّة في هذا الشأن في المدينة. واغتنم بعض حسّاد ديمتريوس الفرصة، فقاموا وأَسَرُّوا للامبراطور حقيقة من كان قد أولاه ثقته انه لا يتساهل بشأن المسيحيين وحسب، كما أوصى جلالته، بل اقتبل هو نفسه المسيحيّة وأضحى مذيعاً لها. فاغتاظ الامبراطور وأرسل في طلب عامله. فلما حضَر استفسره الامر، فاعترف ديمتريوس بمسيحيّتَهَ ولم يُنكر، فَجَرَّدَهُ الامبراطور من ألقابه وشاراته وأَمَر بسجنه ريثما يقرّرَ ما سيفعله به. فأخذه الجند وألقوه في موضعٍ رَطب تحت الأرض كانت تفوح منه الروائح الكريهة.

أيقَنَ ديمتريوس ان الساعة قد أتت ليتمجّد اللّه فيه، فأخَذَ يعدّ نفسه بالصلاة والدعاء. كما أوعَزَ الى خادمه الأمين لوبّوس الذي يعوده في سجنه بتوزيع مقتنياته على الفقراء والمساكين.

وان هي سوى أيام معدودات حتى أرسلَ الآمبراطور جُندَه اليه من جديد فطعنوه بالحراب حتّى مات. ويُقال ان السبب المباشر لتنفيذ حُكم الإعدام السريع هذا، كان تَغَلُّب الشاب المسيحي نُسطر على لهاوش الوثني، رجل الامبراطور، في حلبة المصارعة. فقد سَرَى انه كان لديمتريوس ضلعاً في ذلك، فيما يظن الامبراطور ان ما حصل كان بتأثير سحر هذا المدعو مسيحياً.

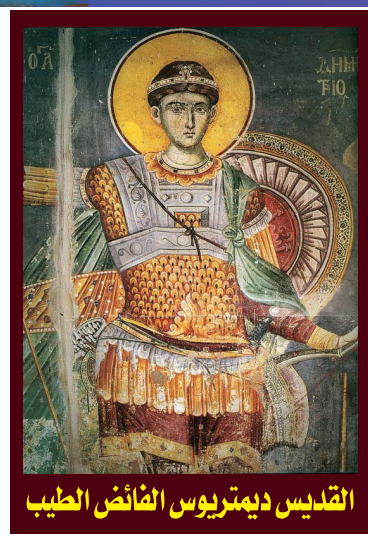

القديس ديمتريوس الفائض الطيب

ويُقال ان خادم ديمتريوس ، لوبّس، أخذ رداء معلّمه وخاتمه من السجن بعدما غمّسه بدمه، وان اللّه اجرى بواسطتهما عجائب جمّة. وبقي كذلك الى ان قَبَضَ عليه الجُند هو أيضاً وقطعوا هامته.

أما رفات القدّيس فأخذوها رجالٌ أتقياء سرّاً ودفنوها. وقد اعطى اللّه علامة لقداسة شهيده أنّ **طيباً اخذ يفيض من بقاياه** ويَشفي الكثيرين من أمراضهم، مما جعل الكنيسة تُسميه بالمفيض الطيب. يذكر ان رائحة الطيب ما زالت تعبق بين الحين والحين من ضريحه الى اليوم. وضريحه مودع في كنيسة (بازيليكا) القدّيس ديمتريوس في قلب مدينة تسالونيكي، حيث يُعتبر شفيع المدينة ومُنقذها من الشدائد والضّيقات. وهي لا زالت الى اليوم تُقيم له احتفالات خاصّة تشمل المدينة بأسرها كل عام وعلى مدى اسبوعٍ كامل.

معجزة جمع طيب القديس ديمتريوس:

في سنة ٢٠١٢بعد حوالي الأسبوع من عيد القديس الشهيد ديمتريوس العظيم مفيض الطيب، أسرع ميتروبوليت تسالونيكية مع الكهنة والمؤمنين إلى كنيسة القديس ليجمعوا الطيب ويوزّعوه على المؤمنين لشفاء الجميع وتقديسهم. وقد كتب أحدهم عن هذه الخدمة في العام المنصرم (٢٠١١): هذا المساء، ايقونة السيدة ذات الثلاث أيد انتقلت من كنيسة القديس ديمتريوس إلى مطرانية تسالونيكي، حيث مكانها. بعد باراكليسي السيدة الذي يتبعه «تقديس» (بالأحرى جمع) الميرون من المدخر (حيث تُحفَظ رفاة القديس). وفيما كان الميتروبوليت أنثيموس يقرأ الصلوات ويقدم التضرعات إلى القديس، رأيت بأم العين، كسائر الحاضرين، أن المدخر يفتح من ذاته، حتّى يفيض الطيب وينتشر العطر في كل أرجاء الكنيسة ويصل حتّى إلى الطابق الثاني. بالحقيقة، هذا كان أمراً لم يسبق لي اختباره قبلاً، ما حملني على إعادة التفكير بقوة الإيمان. فليكن القديس ستراً لنا جميعاً.

هذه السنة، كتب الشخص نفسه عن الخدمة في:اليوم، الرابع من تشرين الثاني، في كنيسة القديس ديمتريوس، اشتركنا بالتقديس

السنوي لطيب القديس. مع استثناء واحد: هذه السنة (٢٠١٢)، بالرغم من كل الصلوات التي تليت، لم يفتح المدخر. لقد اضطر الحاضرون لفتحه يدوياً، وكانت كمية الطيب أقل بكثير من السنة الماضية.هناك مصادر تذكر أن في الأيام القديمة، كان الطيب الفائض من مدخر القديس يصل على شاطئ البحر.

بالحقيقة لم يكن الناس يستطيعون أن يجمعوه كله هذا كان في الماضي. أما الآن، بالكاد ملأ طيب القديس جرن معمودية.

أما شخص آخر فكتب:

البارحة بعد الظهر، جعلني الرب مستحقاً لأكون، لأول مرة، في كنيسة القديس ديمتريوس في تسالونيكي، حيث أقيمت خدمة جمع الميرون المقدس. جمعٌ كثير من كل أنحاء البلاد كانوا هناك، إلا أنّ المدخر حيث رفات القديس لم يفتح. حتى الكهنة والميتروبوليت حاولوا، ومع أنهم استمروا في الترتيل، لم يستطيعوا أن يفتحوه. البعض صار يحكي عن «**علامة شؤم**»، البعض راح يفسر أنها مشكلة تقنية في القفل. ثم استطاعوا فتح الأجزاء الجانبية وأخذ الميرون، أما الجزء الأوسط حيث رفات القديس، لم يكن ممكناً فتحه. لربما القديس ديمتريوس يريد أن يرسل رسالة دعوة إلى التوبة.«ضروري أن نذكر هنا أن الأقوال الواردة هي من أفراد وليست كلاماً رسمياً صادراً عن مطران تسالونيكي. وسواء كان هذا الأمر مهماً أم لا، لا يمكن الحكم، بل ينبغي الاستفادة من الخبر لإجبار أنفسنا على التوبة عن خطايانا الكثيرة أمام الرب الكلي صلاحه.»

ناسكٌ يشُكُ بمعجزة الطيب:

كان في أحد الأيام ناسك على جبل سليمان، قد سمع قصص فيض الطيب من مدخر القديس ديمتريوس في تسالونيكي، وكان يشكُّ في هذا الأمر، ويقول لنفسه بأن هناك الكثير من الشهداء الذين عانوا أكثر من القديس ديمتريوس ومع هذا لم يشرّفهم اللّه بهذه الطريقة.

في إحدى الليالي، رأى كما في حلم، أنه كان في كنيسة القديس ديمتريوس والتقى الرجل الذي يحفظ مفاتيح قبر القديس، فسأله أن يفتحه حتى يسجد هناك. وفيما هو يقبّل القبر لاحظ أنّه رَطبٌ بطيب عطر، فقال للحافظ «تعالَ ساعدني لنرَ من اين يأتي هَذا الطيبً المقدس». فَراحَا يحفران حتى وصلا إلى بلاطة كبيرة من الرخام، فرفعوها بصعوبة، وهناك ظهر جسد القديس، لامعاً وعبقاً ، ومنه يفيض سيلٌ من الطيب ، يخرج من الثقوب التي تسببت بها الرماح التي طَعنت القديس. وقد كان الفيض غزيراً حتى أن الناسك وحافظ القبر ابتلاّ كثيراً، وخوفاً من الغرق، صرخ الراهب: «أيها القديس ديمتريوس أعنّي!» في تلك اللحظة استيقظ من الحلم ووجد نفسه منقوعاً بالطيب المقّدس.

نقل رفات القديس ديمتريوس:

يُذكر ان الإمبراطور يوستينيانوس (٤٨٣-٥٦٥م) رغب، في زمانه، في نقل رفات القدّيس ديمتريوس الى القسطنطينيّة، فحضَره صوتٌ أبى عليه ذلك.

ذخائر القديس ديمتريوس الفائض الطيب

القديسون الشهداء: لوبّوس ، وديمتريوس، ونسطر

وقد لخّصت ترنيمة تنشدها الكنيسة في خدمة سَحَر عيده ما أكمله ديمتريوس في جسده وموقف الكنيسة منه هكذا:

«لنكرّمنَّ الفائق الحكمة في التعاليم والمُكَلّل بين الشهداء الذي ورث بالحراب نعمة الجنب الخلاصي الذي طعن بالحربة فأنبع لنا منه المخلّص مياه الحياة وعدم البلى، ديمتريوس الذي أتَمّ بالدّم شوط الجهاد وتلألأ بصنع العجائب لكل المسكونة، المقتدي بالسيّد والمحبّ المساكين الشفوق ومقدام أهل تسالونيكي ونصيرهم في ضنك الخطوب العديدة المتواترة. ونحن في احتفالنا بتذكاره السنويّ نمجّد المسيح الإله الذي يمنح الأشفية للجميع بواسطته».

(صلاة السَحَر: القطعة على ذوكصا الاينوس)

القديس
الشهيد
لوبّوس
القديس العظيم
في الشهداء
ديمتريوس
المفيض الطيب
القديس
الشهيد
نسطر